

شكسپيار



تروائع

ترجمة وتقدير: جبرا ابراهيم جبرا

توزيع : منشور الأزيكية
أكبر مكتبة رقمية

مأثـر

كرويانس

المؤسسة
العربية
للدراسات
والنشر

أشهر جروبكات علي تليجرام

باجتصون

هنا سعد الازيكية

فؤاد في بحر الكتب

قناة مصر الثقافية والفنية

ماشاة
ديوانيس



جميع الحقوق محفوظة

المؤسسة العربية
للدراسات والنشر

شاية برج الكارلن، ساحة الجنير، ١/٧٩٠٠
بيروت، موكيال، بيروت، ص. ١٠٠/٥٦٩٠٠ بيروت

الطبعة الثانية

١٩٨١

وليم شكسبير

مائة

ديوانه

عزتها وقدم لها:
جبرا ابراهيم جبرا

المؤسسة العربية
للدراسات والنشر

بناية برج الكارلтон - ساحة الجنزير - ط ١ / ٧٩٠٠٠
سرقيا - موكيلي - بيروت - ص.ب. ١١٥٤٦ - بيروت

أهم جرميات علي تيجرام

بالخسوف

هنا سحر الأزيكية

فوائد في بحر الكتب

قناة مصر الثقافية والفنية

مقدمة

« كريولانس » : تاريخها ومصدرها

في عام ١٦٢٣ ، أي بعد وفاة شكسبير بسبع سنوات ، نشرت المجموعة الكاملة (باستثناء « بركليس ») لمسرحياته في كتاب من القطع الكبير يعرف بـ « الفوليو » Folio ، وهو الذي حفظ لنا نصوص ما لا يقل عن ست عشرة مسرحية لم تكن نشرت قط من قبل ، وثلاث أخرى كانت نشرت في طبعات « مسروقة » مشوهة ، كما أعيد فيه نشر اثنتي عشرة مسرحية أخرى كانت قد نشرت بشكل أو آخر أبان حياة شكسبير .

في هذا الفوليو ظهرت مسرحية « كريولانس » لأول مرة . ويبدو أن طبعها قد تم يومئذ منقولاً عن نسخة كتبت باليد تنقصها الدقة وتكاد لا تقرأ في أماكن كثيرة منها . فجاء النص مليئاً بالأخطاء التي جابهت الباحثين الشكسبيريين فيها بعد بمصاعب جمة ، ما زال بعضها قائماً حتى اليوم .

في هذا الفوليو ، الذي هو المرجع الأول في دراسة النصوص الشكسبيرية ، لم ترتب المسرحيات وفق تواريخها . وقد كان من مهام الباحثين منذ ذلك اليوم تعيين تاريخ كتابة كل مسرحية ، لمعرفة مكانها من نمو فن شكسبير وتطور نظراته الى الحياة . وقد استعانوا على ذلك بوسائل بحث كثيرة ، استطاعوا بها في النهاية أن يحددوا تسلسل المسرحيات الزمني ، ويسروا لنا أن نرى كيف تطور شكسبير من الكوميديات الى التاريخيات ، ومنها الى المآسي ، وفي النهاية الى الرومانسيات التي تعبّر عن « المصالحة » التي تمت بين شاعرنا العظيم وبين الحياة . ووجدنا مثلاً ان « يوليوس قيصر » سبقت « هاملت » ، وأن « هاملت » سبقت « اوثلو » و « الملك لير » ، اللتين تلتهما « مكبث » ، ثم « تيمون الاثيني » ، و « انطوني وكليوباترا » وأخيراً « كريولانس » . أي ان مسرحيتنا هذه تأتي في

أواخر « الفترة المأساوية » التي كان أمدها في حياة شكسبير حوالي عشر سنوات أو أكثر بقليل ، من ١٥٩٨ الى ١٦٠٨ ، كتب خلالها عدداً من أعظم المسرحيات التراجيدية في التاريخ منذ عهد سوفوكليس (كما كتب فيها أيضاً اثنتي أو ثلاثاً من أروع الكوميديات) . والمسرحيات الرومانية ، أي تلك التي استقى الشاعر إبطاها وأحداثها من التاريخ الروماني ، تكاد كلها (باستثناء « تيطوس اندرونيكوس » التي هي من بواكير أعمال شكسبير) تنتمي الى هذه الفترة المأساوية الخصبة التي شغلت شكسبير بالتأمل في نواحي الحياة المظلمة ، حيث يتخذ الشر اقنعة كثيرة ، ويكون حافزاً رهيباً من حوافز الفعل الانساني ، والفعل التاريخي . ورغم ان « كربولانس » تنتمي في وقائعها الى القرن الخامس قبل الميلاد ، وتسبق بذلك زمن المسرحيات الرومانية الاخرى بأكثر من أربعمئة سنة ، فإنها جاءت ، من حيث كتابتها خاتمة لها جميعاً . اذ يكاد يكون بحكم اليقين انها كتبت في أواخر عام ١٦٠٨ .

في خلق هذه المسرحية وأشخاصها ، اعتمد شكسبير ، كما فعل في معظم مادته للروايات الرومانية ، اعتماداً كبيراً على كتاب ضخيم عظيم الأهمية ألّفه المؤرخ اليوناني بلوتارك (أو « فلوطارخس ») الذي عاش في القرن الأول بعد الميلاد ، ودعاه « السير المتوازية لنبلاء الاغريق والرومان » جعل فيه سير مشاهير الاغريق والرومان في ازواج متناظرة ، جاعلاً لكل اغريقي رومانياً مقابلاً له فيما فعل أو انجز ، ثم منتهياً الى « مقارنة » بينهما . والكتاب يحوي تراجم ثلاثة وعشرين « زوجاً » من رجال الأمتين ، كلهم من « صانعي التاريخ » ، شغلهم الشاغل شؤون الدولة والحكم والحرب ، وكل ما لاقوه من نجاح أو منوا به من اخفاق يقع في اطار من الروعة أو الهول ، وله أثره في حياة الناس ومسيرة التاريخ .

في عام ١٥٥٩ ترجم هذا الكتاب الى الفرنسية اسقف يدعى جاك آميو ، وما زالت ترجمته تعتبر من روائع النثر الفرنسي . وعن هذه الترجمة ، في عام ١٥٧٩ ، نقل السير توماس نورث الكتاب الى الانكليزية ، وشكسبير فتي في الخامسة عشرة من عمره . وقد كان للكتاب ، في هذه الترجمة ، مكانة عزيزة من نفس شكسبير ، اذ وجد أن كلاً من السير عاجلها بلوتارك على نحو يتخطى الطريقة التاريخية المألوفة ، التي غالباً ما تقتصر على ذكر الأحداث العامة والأعمال الكبار . كان بلوتارك يرى ان دراسة البشرية هي في دراسة الأفراد أنفسهم ، وأن الفرد لا يدرس في أنبل أعماله فحسب ، بل في الصغائر من حياته التي لها دلالاتها الكاشفة عن الشخصية والخلق . فتصبح حياة كل من هؤلاء العظام أشبه بدراما تاريخية تتجسد فيها نواحي الشخصية المختلفة وتوتراتها . وهذا ، لا ريب ، مما فتن

شكسبير الدرامي ، وجعله يجد أنه في استقائه من بلوتارك حياة يوليوس قيصر ، وبيروتس ، وانطوني وكليوباترا ، وكريولانس ، وغيرهم ، انما يقوم بمهمة سهلها عليه المؤرخ الكبير بنظرته الدرامية الى أشخاصه جميعاً ومكانهم من حركة التاريخ .

غير أن شكسبير كانت له نظره الخاصة الى النفس الانسانية وصلتها بالتاريخ . فمهما استقى من بلوتارك ، ويكاد أحياناً يستعمل جملاً مأخوذة بالنص من ترجمة توماس نورث ، ومهما تمسك بالخطوط العريضة للأحداث وحياة الأفراد ، فإنه يفرض على الشخصية سماتها النهائية من لدنه ، ويعطي للدوافع الفاعلة في حياة الأفراد الخاصة والعامّة تأويله الشخصي . وفي المقدمة التالية* ايضاح لبعض هذه المزيّة الأساسية في فن شكسبير . فشاعرنا المسرحي لم يكن يرى التوازي العميق بين الحضارة اليونانية والحضارة الرومانية فحسب ، بل كان يراه أيضاً بين أحداث الماضي والأحداث المعاصرة له ، بين مدينة كروما في القرن الخامس ق . م . ، ومدينة كلندن في القرن السابع عشر م . ويكاد يفسر الواحدة بالأخرى ، ضمن حسّه المأساوي للتاريخ . ولم يكن هذا التوازي في مفهوم شكسبير ، ليقف عند ذلك الحدّ أو أي حد آخر من الزمن . انه يبلغ به ذلك المطلق الانساني الذي يتعدى صيغ الزمان والمكان ، فتصبح المأساة وصراعاتها ، رغم خصوصيتها الظاهرية ، أمثلة لكل زمان تنشأ فيه صراعات مثلها . وتصبح روما أية مدينة اخرى في العالم .

هنا يكمن السرّ في روعة « كريولانس » ، وتساعد الاهتمام بها في السنوات الأخيرة . لقد تبين أنها ، بعد اهمالها زمناً طويلاً ، مسرحية أخرى « معاصرة » ، كالكثير غيرها من مسرحيات شكسبير - لأنها وثيقة انسانية وسياسية ، تناقش تلك الصلة المعقدة بين الحاكم والمحكوم ، ولا تحابي أحداً ، وتحمل في تضاعيفها جوهر الكثير من المشكلات والقضايا التي قد تحتاج اية مدينة في هذا العصر .

جيرابراهيم جيرا
بغداد

(*) من كتاب « شكسبير معاصراً » ليان كوت .

أفهم جريبات علي تلجرام

بالخمنون

هنا سحر الازليكية

فوالكر في بحر الكتب

قناة مصر الثقافية والفنية

« كريولانس » أو تناقضات شكسبيرية

بقلم يان كوت

لقد استحققت من وطنك بنبل ،
ولم تستحق بنبل (. . .) كنت سوطاً
على أعدائه ، وعصا على اصدقائه .
أنت في الواقع ما احببت عامة الناس .
(« كريولانس » ٢ ، ٣)

من بين المسرحيات الشكسبيرية العظيمة كلها ، نجد ان « كريولانس » أقلها تمثيلاً على المسرح . فهذه المسرحية لم يكن لها إلا قلة من المعجبين والمتحمسين ، وان يكن ضمنهم افراد مثل كولردج ، وسوينبرن وبريشت(*) ، وليون شيلر . غير أن معظم الناس وجدوا انها تشبطهم أو تقززهم ، أو - على الأقل - تقصر عن تحريك اية عاطفة فيهم . ولم تكن المسرحية « ناجحة » في عهد شكسبير ، ولا في القرون الثلاثة اللاحقة ولا هي كذلك اليوم(**) ولقد سماها البعض مأساة قاحلة ، أو مونودراما . فليس في « كريولانس » شعر ساحر ، ولا موسيقى سماوية ، لا عشاق رائعين فيها ، ولا مهرجين مبدعين . لا عناصر صاخبة ، ولا وحوش رهيبة هي من خلق الخيال ولكنها أصدق من التجربة نفسها . فليس هنا إلا سجل تاريخي ، أجرد ، جاف ، وإن يكن ممسرحاً بعنف . وهنا أيضاً بطل مضخم ، باستطاعته ان يثير المشاعر بأنواعها ، فيما عدا العطف . فهو يعجز عن اثارته في أحد .

(*) كان بريشت قبل موته يعد اخراجاً لمسرحية « كريولانس » ولنسخة مقتبسة عنها . وقد كان فهمه لها تعليمياً ومناقضاً لفهمها التقليدي ، إذ رأى فيها دراما للشعب يخونه فيها قائده الفاشي . وقد تم اخراجها مؤخراً على مسرحه في برلين .

(**) جعلت المسرحية تثير اهتمام النقاد في السنوات الأخيرة ، وأعيد تمثيلها على المسرح من جديد في مدن كثيرة وبنجاح كبير .

غير أن « كريولانس » ليست في الواقع مونودراما . فالمأساة فيها بطلان ، وإن يكن لأحدهما رؤوس كثيرة وأسماء كثيرة . لن أصفه الآن ، بل أود أن استهل بالتأكيد على أن كريولانس لا يترك أبداً وحده ، على الأقل بالمعنى الفيزيائي والدرامي . ففي خمسة وعشرين مشهداً من المسرحية ، من تسعة وعشرين ، نرى الجماهير حاضرة . هناك اثنا عشر مشهداً في شوارع روما ، والمتندي ، والكابيتول . ومشهدان في كريولي . وعشرة في ميادين القتال والمسكرات . والجمهور يكاد يكون دوماً اسم : مواطن أول ، مواطن أول ، مواطن أول ، مواطن ثالث . شيخ أول ، شيخ ثانٍ . حارس أول ، حارس ثانٍ . ضابط أول ، ضابط ثانٍ . متآمر أول ، متآمر ثانٍ . وشخصيات القادة السياسيين أو العسكريين لا ترسم إلا بخطوط عريضة . فهم بيرزون من الجمهور ثم يضيعون فيه ثانية . وهناك أيضاً أم كريولانس ، وزوجته وابنه . ولكن حتى هؤلاء لا حياة لهم خاصة بهم ، وإنما هم بمثابة خلفية للمواقف التي تتطور فيها المأساة .

لاريب أن جفاف « كريولانس » كان له أثر مشط في انفس القراء والمشاهدين . فالمسرحية ، والحق يقال ، قاسية وجهمة . بيد أن جهامة المادة الدرامية لا تعطينا تفسيراً كافياً لهذا الاعراض الذي لقيه طيلة هذه المدة من معظم الناس عمل من أعمق أعمال شكسبير . أسباب هذا الاعراض ، فيما أرى ، يجب البحث عنها في مكان آخر . فهو ناجم عن غموض المسرحية - غموضها السياسي ، والاخلاقي ، وفي النهاية ، الفلسفي . لقد كان غموضاً يصعب هضمه .

لم يكن بوسع « كريولانس » كما كتبها شكسبير ، أن تحظى بتمام الرضا من الارستقراطيين ، ولا من الجمهوريين ، لا من أصدقاء الشعب ، ولا من اعدائه ، بل أن المسرحية ازعجت أولئك الذين يؤمنون بالجماهير ، وأولئك الذين يزدرونها ، على حد سواء : أولئك الذين أدركوا غاية التاريخ وتعاليمه ، وأولئك الذين ضحكوا منه ، أولئك الذين رأوا البشرية كتلة من الديدان ، وأولئك الذين لم يروا إلا ديداناً فردية مستوحدة تعاني مأساة الوجود . فالمسرحية لم تنسجم مع أية فكرة تاريخية وفلسفية سائدة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر .

لم يكن بوسع « كريولانس » أن تسر الكلاسيكيين ولا الرومانسيين . فالسابقون وجدوها غير متماسكة ، سوقية وفظة . واللاحقون وجدوها مغالية في المראה ، والتسطح ، والجفاف . وهنا تكررت قضية « طرويلس وكريسيدا » ، فهذه مسرحية شكسبيرية أخرى لم تفهم ، مسرحية جوهرها الفلسفي ، شديد الشبه بـ « كريولانس » ، رغم الفروق الظاهرية . في المسرحيتين نرى الافكار تناقض الممارسة بعنف وسخرية . غير أن هذا لا

ينتهي بنا الى الاعتراف بأن الممارسة هي المقياس الوحيد والنهائي للقيمة .

ليست « كريولانس » مونودراما ، أو مأساة حول موضوع قديم ، إلا في الظاهر . لا ريب ان بالامكان دراسة المسرحية بمصطلحات « المدينة » (أو دولة المدينة) و « البطل » ، و « القدر » . البطل يخرق القانون الاخلاقي ، فتتهدد المدينة بالدمار . على البطل ان يختار إما حياته أو المدينة . فيختار الموت . تنفذ المدينة فتقيد هيكلًا لإلهة القدرة . روما هي المدينة ، وكريولانس هو البطل . إلا ان القدر كما يتخيله شكسبير ، رغم انه يلاحق البطل ويحصره ويحطمه ، على غرار آلهة الانتقام الاغريقية ، له وجه معاصر . القدر يمثل هنا الصراع الطبقي . فلئن تكن روما دولة ، فهي أيضاً تتألف من العوام والأشراف .

تقع احداث المسرحية بعد طرد الملوك في تلك الفترة شبه الاسطورية التي عرفتها جمهورية روما في القدم . والقصة يروها بإيجاز المؤرخ الروماني ليفي ، ويسردها بالتفصيل المؤرخ اليوناني بلوتارك في كتابه « سير نبلاء الاغريق والرومان » . وقد نشرت الترجمة الانكليزية التي قام بها السير توماس نورث عام ١٥٧٩ . ومن هذه الترجمة استقى شكسبير العقدة ، والشخصيات ، ومجمل الاحداث .

روما في حرب مع الاقوام المجاورة . وفي المدينة نفسها يجري صراع الفقراء ضد الاغنياء . هذا ما يقوله بلوتارك : « انحاز مجلس الشيوخ للاغنياء ضد الشعب ، والشعب يشكو اضطهاداً اليماً من المرابين الذين كان يستدين منهم المال . فالذين لم يملكوا إلا القليل ، سلبهم ذلك القليل دائئهم ، لعجزهم عن دفع الربا ، فعرضوا عليهم بيع سلعهم لمن يدفع أكبر ثمن . والذين لم يبق لديهم ما يملكونه ، استولوا على ابدانهم وجعلوهم ارقاء لهم . . لم يابيه لهم مجلس الشيوخ ، وبدا وكأنه قد نسي وعوده السابقة ، وسمح بأن يجعلوا عبيداً وأرقاء لدائئهم ، وبأن يجرؤوا ، الى ذلك ، من كل ما كان لهم . فراحوا عندئذ يتمرّدون ويعصون ، ويشيرون شغباً خطيراً في المدينة » .

لقد أثرى الاشراف من الحروب ، وكسبوا الأراضي والعبيد ، ولكنهم عاجزون عن الاستمرار بالحرب دون العوام . والعوام قد اكتسبوا حق انتخاب ممثليهم المدافعين عن حقوقهم ، وكذلك حق المشاركة في الحكم . وكان كايوس مارسيوس - ذو النسب العريق - من أشجع الرومان وقد سمي كريولانس بعد ان استولى على مدينة كوريولي من أهلها الجبليين المعروفين باسم « الفولسينيين » . لقد أدى خدمات جلّى لروما . انه قائد عظيم ،

ويحمل جسمه سبعاً وعشرين ندبة من جروح الحقها به العدو . يشرح الاشراف كريولانس لمنصب « القنصل » ، ولا بد من موافقة الشعب على الترشيح . إلا ان كريولانس ارستقراطي يكره الشعب ، والشعب يكرهه . وثمة مجاعة في روما . وكريولانس يعترض على توزيع الحبوب ، إلا اذا تخلى العوام عن حقهم في انتخاب ممثليهم . فيرفض الشعب الساخط الموافقة على تعيين كريولانس قنصلاً . ويتهمه الممثلون بالتآمر على الجمهورية ، وعلى كريولانس ان يواجه المحاكمة .

ويرغم الشعب الاشراف على نفي كريولانس من روما الى الأبد . وهنا يحلم كريولانس بالانتقام . فيذهب الى الفولسيين ، ويقترح على الذين كانوا بالامس اعداءه القيام بحملة عسكرية على روما . ويتقلد منصب القيادة بنفسه .

هذا هو الفصل الأول من حكاية كريولانس الرومانية . وفيها مغزى جمهوري . زعيم يحقر الشعب ، ويخون الوطن ، ويلتحق بالعدو . فالقائد الطموح الذي يستهدف السلطة الديكتاتورية رجل شديد الخطر على الجمهورية . فالشعب محق في نفي كريولانس . ولكن الآن يبدأ الفصل الثاني . كريولانس يرأس جيشاً فولسياً ، ويقترّب من أبواب روما . والمدينة ينقصها الزعيم العسكري ولا تملك دفاعاً عن نفسها ، وقد حكم عليها بالدمار . والاشراف والعوام يتهم بعضهم بعضاً بطرد كريولانس من المدينة . يحاولون استرضاءه ، ويلتمسون رحمته . عبثاً . ومن ثم يرسل الرومان زوجة كريولانس وأمه كمبعوثين اليه . ويوافق كريولانس على عقد الصلح ، ويتراجع بجيش العدو من ابواب روما .

للقصة خاتمتان . الأولى ، التي يرويها ليفي ، عاطفية ومثالية : الرومان اعترافاً بالجميل ، يقيمون هيكلًا تمجيداً لزوجته كريولانس وأمه ، بينما هو يعود الى الفولسيين ويموت بسلام بعد عمر طويل . أما الخاتمة الثانية ، فأشد درامية : كريولانس يعلم أنه بتراجعته من روما قد حكم على نفسه بالموت . فخرقه ميثاقه مع الفولسيين انما هو خيانة ثانية . ويقتلونه كخائن .

الخاتمة الثانية هي التي يرويها بلوتارك . غير أن مؤلف « السير » يبدو انه لا يعي ان تاريخ كريولانس يحتوي على مغزيين ، يناقض احدهما الآخر . والمغزى المستمد من الفصل الثاني مر شديد المرارة . فالمدينة التي تنفي زعيمها تفقد حصانتها . والشعب لا يستطيع إلا الكره والظعن في هذا وذاك ، ولكنه عاجز عن الدفاع عن مدينته . والجماهير عنصر ، أعشى ومدمر كالنار أو الطوفان . فبين الجمهور الكثير الرؤوس العديم الاسماء ،

وحده كريولانس كان العظيم . ابدى له البلد العقوق ، ولم يستطع احتواءه . فقد كان حاكماً بالفطرة . والتاريخ قاسر ، ومليء بالشراك . العطاء يسقطون ، والصغار يقنون .

لم ير بلوتارك مأساة كريولانس ، ولا المأساة الضمنية في التاريخ . وفي كتابه « السير » وضع المثال الخلقي الاغريقي ازاء مثال الشجاعة (فيرتس) الروماني . اما المغزى الذي يستمد من سيرة حياة كريولانس ، كما يرويه هو ، فهو سيكولوجي مبني على التجربة :

ان الذهن النادر الممتاز اذا لم يتشقق ، يأتي بكثير من الحسنات والسيئات معاً ، كالتربة الخصبة اذا بقيت من غير سماء انت بالنبت والدغل . . لقد كان من سرعة الغضب ونفاد الصبر بحيث انه لا يخضع لمخلوق حي : مما جعله ضيق الصدر ، عديم الدماثة ، وغير صالح اجمالاً للحديث مع أحد . . كانوا يستأذون لتصرفه بسبب طريقته التي تتصف بالقحة والصلافة ، فيكروهونها فيه لما فيها من عجرفة . والحق ان اعظم فوائد العلم للمرء هي هذه : انه يلقي كل من كان خشناً وفظ الطبع - باستعمال قياس العقل - ان يكون دمثاً ولطيفاً ، وأن يؤثر التواضع على التعالي .

هذا ما يقوله بلوتارك . وتاريخ كريولانس خبيث المذاق حقاً . ولكن شكسبير هو اول من استشف خبيث المذاق هذا . لا بد انه اندهش له وتأثر به ، اذ جعله موضوعه الرئيسي في الدراما . ففي التاريخيات والمآسي - والاخيرة اشد تكتيفاً من السابقة - يظهر لنا شكسبير التاريخ الاقطاعي ، وبآليته الجرداء التي لا تتبدل ، في شكل مطلق . فالتاريخ يصنع في قمة السلم الاجتماعي . وهو شخصي ، ويستخدم الاسماء وان تكن قليلة . وأحياناً فقط يظهر أهل المدن الخائفون : انهم قد علموا بموت الملك ، أو بالحرب ، أو بانقلاب ما . ويرون في كل ملك يتغير نكبة من نكبات الطبيعة . التاريخ يجري من فوق رؤوسهم ، ولكنهم هم الذين عليهم تحمل التبعة .

وقد كانت قصة اباطرة الرومان المثل المحتذى الميسر في تاريخ الاقطاع وكم كانت المقارنة بين قيصر وبروتس موضوعاً متواتراً للتفلسف الاخلاقي في عصر النهضة . وحفلت المأساة قبل شكسبير وفي عصر اليزابيث بحكايات الطفغة . وكثرت الاشارة الى كتابات تاكيتوس وسويتونيوس . وكانت التماثيل النصفية للقيصرة الاثني عشر تزين قصور الملوك المسيحيين كلهم . اما روما الجمهورية فكانت أبعد ما تكون عن تناول كتاب النهضة ، ويعرفونها معرفة أقل . والنظام المعاصر الوحيد الذي يضاهيها كان نظام جمهورية

البندقية ، ولكن حتى هذه كان يحكمها الـ « دوجي » والاستقراط . وكانت مشكلة السلطان المطلق تفتن أهل النهضة - هذه الآلة التي تحول الأمير الصالح الى طاغية . فبالنسبة اليهم كان هذا امراً من امور الحياة اليومية ، كما كان أحد الموضوعات الشكسبيرية الكبرى . ولكنه لم يكن الموضوع الأوحده .

كان شكسبير في « يوليوس قيصر » و « كريولانس » أكبر تجديداً مما كان في « انطوني و كليوباترا » . ففي المسرحيتين السابقتين ادخل روما الجمهورية في عالم المأساة . وقد نظر اليها ولا ريب من خلال تجربة أواخر النهضة ، وبحث عما يؤكد له فلسفته التاريخية التي كانت قاسية ، مرة ، شديدة التشاؤم . بيد أن المادة التي استخدمها كانت مغايرة بعض الشيء ، ولم يكن بالوسع احتواؤها في ذلك المدار الذي لا يتغير ، حيث كان كل حكم يبدأ وينتهي بمأساة سقوط الحاكم . فكناية السلم الفخم الذي يصعده كل حاكم بدوره ، ومنصة الاعدام درجته الأولى والاخيرة ، لم يعد بالامكان تطبيقها على هذه النظرة الى التاريخ .

ما زال كريولانس يحمل سياء العظيمة الجهمية ، ويسحقه التاريخ . غير ان التاريخ الذي يحطم كريولانس ليس الآن بالتاريخ الملكي . انه تاريخ مدينة انقسمت الى عوام وأشراف . انه تاريخ الصراع الطبقي . كان التاريخ في السير الملكية ، وفي مكبث ، آلة فخمة فيها مس من الجن . أما في مسرحية كريولانس ، فقد خلا التاريخ من مس الجن . انه مفارقة ومأساة . وهذا سبب آخر في أن « كريولانس » مسرحية ذات مغزى حديث .

- ٢ -

يستهل المشهد الأول من « كريولانس » بدخول العوام الثائرين . واذا الموضوع ، والصراع ، وابطال المسرحية ، تقدم كلها في البداية :

مواطن أول : كلكم مصممون على انكم تؤثرون الموت على التضور جوعاً ؟ .

مواطنون : مصممون ، مصممون !

مواطن أول : أولاً ، انتم تعلمون ان كايوس مارسيوس هو عدو الشعب الاول ؟ .

(١ ، ١)

هكذا تبدأ المسرحية . فشكسبير لا يضيع وقتاً . ان الموقف قد حدد . ثمة مجاعة في روما ، والعوام يطلبون تخفيضاً في أسعار القمح . وكايوس مارسيوس لا يوافق على ذلك .

فيصمم العوام على قتل مارسيوس . في الدقيقة الأولى نفسها تبدأ حركة المسرحية . وسرعان ما يحدد موضوع المسرحية . العوام يتصايحون على بعضهم البعض في فوضى ، ولكن نظرية مفصلة عن التقسيم الطبقي تتشكل فيما يقولون . وهي مبنية على تقابلات أولية ثلاثة : بعض الناس يشتغلون والآخرين يتغذون على شقائهم ، بعضهم فقراء ، والآخرين اغنياء ، بعضهم مكانهم في الاسفل وعليهم الطاعة ، وبعضهم مكانهم في الأعلى ويحكمون . هذا كله تحتويه هتافات الجمهور في المشهد الأول :

الهازل الذي يتلينا ، مشهد يؤسنا هذا ، ليس إلا كشفاً بتفاصيل وفرهم . معاناتنا كسب لهم ...

يجعلوننا نجوع وعنابرهم محشوة بالقمح . يصدرون المراسيم للربا ، ليدعموا المرايين . يلغون كل يوم أي قانون شرع ضد الاغنياء ، ويأتون كل يوم بالزبد من الشرائع الجارحة ، لغل الفقراء وكبحهم . ان لم تلتهمنا الحروب ، التهمونا هم .

(١ ، ١)

هنا يدخل الشريف مننيوس اغريبا . لقد ارسله مجلس الشيوخ لتهدة المتمردين . ومننيوس يعترف بأن ثمة مجاعة ، بأن ثمة اغنياء وفقراء . والفقراء يتضورون جوعاً لا لأن الاغنياء لديهم اكثر مما ينبغي . والاشراف يعنون بالشعب . الفقر حكم الآلهة . هكذا نظمت الدنيا ، وما من أحد يستطيع تبديل النظام الازلي .

أما حاجاتكم ،

أما معاناتكم في القحط هذا ، فما رفعها

بوجه الدولة الرومانية إلا كرفعكم العصي ،

بوجه السماء ...

.....

فالقحط من صنع الآلهة لا الاشراف ،

وثني الركب لها ، لا رفع السلاح ، هو الذي يفيدكم .

مننيوس يتكلم شعراً ، أما العوام فنثراً . فالفوارق الطبقيّة لا بد من مراعاتها حتى عند ابطال شكسبير . غير أن هناك ما هو أكثر من مجرد فارق بين الشعر والنثر . ان مننيوس يضع ازاء كناية العوام المكانية البسيطة « القمة - الحضيض » المبنية على الشعور بالاضطهاد الطبقي ، كناية تصور المجتمع ككيان عضوي كبير . ويروي للعوام القصة المشهورة عن ثورة أعضاء الجسم على المعدة . المعدة كناية عن مجلس الشيوخ الروماني ، وأعضاء الجسم الثائرة تمثل العوام . وحكايته هذه يذكرها ليفي وبلوتارك كلاهما . غير أن شكسبير ، كدأبه ، يكشفها ويمسحها . وحكاية مننيوس انما هي ايضاً نظرية في التقسيم الطبقي ، كما يراها الاشراف . فالقصص العاتي الذي يراه العوام ، توضع ازاءه نظرية عضوية وظيفية . وكلتا النظريتين يتناولهما شكسبير ضمن تأثيرهما الطبقي . انهما تهيئان وسيلة لاثارة الشعب ، ولتبرير الفعل ، في آن معاً . وهذا بالضبط فعلهما في التاريخ . : : :

لقد كان لحجج اغربا تواتر سياسي واكاديمي طويل . فكررها نيودوريتوس في القرن الاول للميلاد (« يساهم السادة في هموم خدمهم ولكن الخدم لا يساهمون في هموم سادتهم ») ، كما كررها المزارعون الامريكيون الكبار في عهد فرانكلين روزفلت (« علينا أن نعتي بتزويد القمح ، وتحويل الايجار وما أشبه ، بينما يتوقع عامل المزرعة الأسود ان نزوده نحن بضرورياته ، ولا يتحمل أي هم ما دمنا نقوم نحن بأوده ») . وفكرة مننيوس عن التكامل الطبقي اعلنها الفيزيوقراطيون (كيان كامل يتألف من اجزاء متباينة ، ضروري بعضها لبعض .) ، كما أعلنتها المناشير البابوية في القرن التاسع عشر . وطورها سينسر ودوركهايم الى نهج لعلم الاجتماع . أما شكسبير فاحتاج الى خمس دقائق فقط ليقدم هذه النظرية .

ولم ينته بعد المشهد الاول من « كريولانس » . ما يكاد مننيوس يفرغ من سرد حكايته حتى يظهر كايوس مارسيوس . ويبدأ بتحقيق العوام من أول جملة يفوه بها :

... ما الأمر ، أيها الأوغاد المتنازون ،

تمعنون في حك سفية أرائكم ،

فتصيبون انفسكم بالجرب ؟

ان اغريبا « ايدولوج »(*) الاشراف ، بالمعنى الذي يعطيه ماركس ازدراء لهذه الكلمة ، فهو صاحب مناورة وفيلسوف انتهازية . أما مارسيسوس فليس بأيدولوجي ، ويرفض كل مناورة . انه يقبل التمييز الطبقي الذي يبدو في الظاهر منسجماً مع فكرة العوام : التقسيم العمودي بين أعلى وأسفل متعادين ، ييغض أحدهما الآخر أشد البغضاء - هذا ما يقوله للشيخ :

... انتم الدهماء .

ان كانوا هم الشيخ ، وماهم بأقل من ذلك
اذ تمازج أصواتكم بأصواتهم فتجدون ان الطعم الطاعي
هو مذاقهم . انهم يختارون قاضيهم ،
وهذا هو رجل كهذا ، يجابه بأمره ،
بأمره الشعبي ، جمعاً من شيوخ .
لم يعبس مثلهم شيوخ في اليونان .

(١ ، ٣)

فمارسيسوس يقبل ضدين من الأضداد الكلاسيكية في نظرية العوام : الاغنياء -
الفقراء ، الحاكمون - المحكومون . ولكنه الى هذين الاثنين ، يضيف اثنين آخرين :
النبلاء - الوضعاء ، العقلاء - الحمقى . الشعب بالنسبة اليه كالحوانات التي يعض
بعضها بعضاً ، شديد الكراهية ، ولا يتذكر اليوم ما كان يريد بالامس :

... ما الذي تريدون أيها الاجراء ،

يا من لا السلم تحبون ولا الحرب ؟ هذه ترعبكم ،
وتلك تملؤكم عجرة ..

.....

... من يكن أهلاً للعظمة .

(*) أي الناطق بأيدولوجية معينة ، والمدافع عنها مع مناورة وانتهازية .

يكن أهلاً لكرهكم ...

.....

... أثقة بكم ، قاتلتكم الآلهة ؟

تغيرون رأيكم كل دقيقة ،

فتدعون نبيلاً ذاك الذي كان الآن موضع كرهكم ...

.....

... رحتم في أماكن مختلفة من المدينة .

ترفعون عقيرتكم ضد الشيوخ الأفاضل ، وهم الذين ،

بعد الآلهة ، فرضوا الخوف عليكم ،

والأ لا كلتم بعضكم بعضاً ...

(١ ، ١)

في بلوتارك أيضاً نجد ان مارسيسوس يمقت الشعب ، والسبب الأكبر هو انه رجل
تأكله كبريائه ، معتكف لا يعرف كيف يعامل الناس . وبلوتارك يتعاطف مع حجج
اغريبا العملية . في حين ان شكسبير يهزأ من اغريبا ، جاعلاً إياه في أحسن الأحوال في دور
كدور بولونيوس في « هاملت » . من أول مشهد الى آخر مشهد في المأساة نجد ان الصراع
هو بين كريولانس والشعب . وكما في مسرحيات شكسبير العظيمة كلها ، انه صراع حول
فكرة الانسان عن التاريخ وقيمه الخلقية : انه اختلاف في الرأي حول ماهية تنظيم العالم .
كريولانس ، كما يراه شكسبير ، متكبر جامح ايضاً . غير ان افعاله لا تنجم (أو أنها - على
أي حال - لا تنجم كلها) عن صدوع في خلقه ، أو عن « نقص في العلم » ، كما يزعم
مؤرخنا الفاضل بلوتارك . ان مأساة كريولانس الذي أوجده شكسبير ، لا يمكن
تحديدها ، أو احتواؤها ، بمصطلحات سيكولوجية . ولا هي بمأساة شخصية عظيمة
اصطدمت بالجماهير ، كما يذهب غالبية المعلقين . لا جامهير في « كريولانس » انما هناك
الاشراف والعوام ، لا غير .

كريولانس يقبل الفروق الطبقية ، كما يراها العوام ، ولكن من السهل ان نرى انه
يغير من طبيعتها ويجوها الى اصناف من القيم . العوام لا يدعون انفسهم نبلاء ، ولا

يدعون الاشراف اشراراً . كل ما يعرفونه هو انهم جائعون ، لأن الآخرين شبعون . اغريباً يرفض وجود الجائعين والشبعين ، لأن المرء لا يستطيع القول بأن الأيدي جائعة اذا كانت المعدة مملأى . أما كريولانس فيقبل التقسيم الى جائعين وشبعين ، ولكنه اذ يفعل ذلك لا يقول إنها مشيئة الآلهة . فلا هو يؤمن بالآلهة ، ولا هو يجد بنفسه حاجة لها . انه يعتبر الشعب حيوانات ، اذا أكلت وشبعت ، توقعت وهاجمت الناس . المدينة ستلتهمها الجردان :

... هكذا نحن نحط

من شأن مناصبنا ، ونجعل الرعاع
يدعون همومنا مخاوف . وهذا مع الزمن
سيكسر اقفال مجلس الشيوخ لتدخله
الغربان وتقر النور .

(٣ ، ١)

ثلاث نظريات في التقسيم الطبقي قدمت ويبحث مفصلاً ، حتى نتائجها النهائية . كل منها تحوي عرضاً للمواقع الاجتماعي ، ونظماً من القيم . كل منها تعني نظرة للعالم مغايرة ، وتعطي تقويماً مغايراً ، وجواباً مختلفاً عن سؤالين اساسيين : كيف نظم العالم وكيف يجب ان ينظم ؟ من السهل ايجاد كلمات تعميمية لتحديد هذه النظم : المساواة ، التضامن ، النظام المراتبي ، ومسرحية « كريولانس » تقدم لنا مجابهة عاتية ، خالية من كل وعظ ، بين هذه النظم الثلاثة . وكما عودنا شكسبير في كتاباته ، ثمة تنظيم رائع للمرايا ، تعكس الشعب في عيني كريولانس ، وكريولانس والاشراف في عيون الشعب . والمرأة الأخيرة يهيئها التاريخ . فالتاريخ في الدراما يهيء مسار الفعل ، والصلوات المتداخلة بين الأحداث ونتائجها النهائية . والتاريخ بوسعه أن يؤيد نظم القيم ، أو يسخر منها ، أو يحطمها . فاذا سخر أو حطم ، كان غروتسكياً ، أو مأساوياً . أو ربما كان كليهما معاً .

- ٣ -

المجابهة الأولى تهيئها الحرب . يهاجم الفولسيون روما . والعوام عاجزون . ويتبدل الموقف في طرفة عين . يتسلم الجنرالات السلطة ، وينسحب المتمردون . ويبدو كأن حجج اغريباً وحكايته قد ثبتت صحتها . ويتصر كايوس ماركسيوس :

لدى الفولسين قمع كثير . خذوا هذه الجرذان اليهم
لتعيث في أهرائهم .

ويصل الرومان الى كريبولي . يصد أهل المدينة الهجمة الأولى ويهرب الجنود .
ويقتذف مارسوس بالشنائم على الفارين ، ويدعو الشجعان اليه ، ويعيد الهجوم . ويلحق
بالفولسين حتى ابواب المدينة ، ثم يدخلها بمفرده .

جندي أول : حماقة صرف . لا عليّ .

جندي ثانٍ : ولا عليّ .

جندي أول : أترون ، لقد أغلقوا عليه الأبواب .

جندي ثانٍ : الى حيث نهايته ، ولا ريب .

(١ ، ٤)

مشاهد المعارك في شكسبير يرافقها قرع الطبول وصدح الأبواق . غير ان الضوضاء
فيها قليلة . فهي تقع على مسرح خال . والمعارك الكبيرة تقوم بها حفنة من الجنود . طبعاً
في مسرح « الكرة » (في عهد شكسبير) لم يرض أحد بالصبغ الأحمر ، وكانت السيوف
تصلصل على السيوف لفترات طويلة . ولكن مشاهد المعارك في شكسبير ليست وصفية ،
ولا يقصد منها ان تخلق وهماً يشبه الواقع . ان صفتها درامية من ضرب آخر - من ضرب
داخلي . المبارزات القاتلة ترصعها تأملات فلسفية مريرة ، أو سخرية . هنري الشاب
بطل ، ويغلب بيرسي . إلا أن فولستاف يفضل أن يتظاهر بأنه جثة هامدة ، وهو يعلم ان
الأهم لديه هو ان يظل حياً : فالحرب حرب ملوك وجنرالات ، لا حرب جنود . وهذا
القول ينطبق ايضاً على الحرب في « كريبولانس » .

يستولي الرومان على كريبولي . لقد اجتاحتها مارسوس اجتياح العاصفة . ولم يبق
منها إلا أشلاء مدينة ، يتخاطف منها الجنود شرائح يائسة :

روماني أول : هذا سأحمله الى روما .

روماني ثانٍ : وهذه سأحمله أنا .

روماني ثالث : اللعنة عليها ! حسبتها فضة !

هذه هي مشاهد التاريخ الدائم ابداً ، كما يراها شكسبير . مشاهد كتبت مرة لتبقى

الى الابد . انها تعميمات عريضة ، وتحسيدات مركزة ، في وقت معاً . حسبنا أن نتخيل هذا المشهد ، أو أن نعيد قراءته كما كتبه شكسبير ، لنذكر الاسباب الأعمق لحماسة بريشت لمسرحية كريولانس . ان كريولانس نموذج عصري ، مباشر ، وتأكيدي لما كان يسميه بريشت بالمسرح الملحمي ، أكثر من تاريخيات شكسبير . الام شجاعة تقتات على الحرب ، وهي لا تمي حتى النهاية ان الحرب تقتات عليها وتستجردها من كل شيء تملكه . الام شجاعة أشبه بأولئك الجنود الذين يتخاطفون من بعضهم البعض كأساً من الرصاص حاسبين إياها من الفضة . كثيراً ما كان بريشت ، في فترته الأخيرة ، يطلق على مسرحه الملحمي كلمة « دياكتيكي » وكان يجد نموذجاً في شكسبير . فلنستمر . قادة الرومان المظفرون ، ومن بينهم مارسيوس ، يدخلون طرقات المدينة الميته ، الخالية وخلو المسرح الشكسبيري :

انظر الى هؤلاء المتسكعين الذين يشعنون شرفهم

بدرهم مصدوع ! وسائد ، ملاعق رصاص ،

حدائد ذات الفلّس ، قمصان يذفنها الجلادون

مع مرتديها ، هذا ما يتخاطفه هؤلاء العبيد المناكيد .

وهم لما يفرغوا من القتال . تباً لهم !

واسمع ! يا لضوضاء ذلك القائد !

(١ ، ٥)

لقد جعل شكسبير مارسيوس يبدو بطلاً ، بوضوح وعن وعي . قوته قوة أخيل ، وصوته أقوى من صوت أي انسان . والقائد الفولسي يدعوه بـ « هكتور » بين رومان متبجحين . حتى الأسلوب والتشابه المستعملة في وصف مآتيه الحربية هي على غرار أسلوب هوميروس . هذه أم كريولانس تتحدث عنه :

... جبينه الدامي

يسمحه بيد مدرعة ، وينطلق

كحصّاد التزم بحصاد الحقل كله ،

أو يفقد أجره .

(١ : ٣)

وهذا ما يقوله القائد الأعلى عنه :
لو كان ثمة جوهرة بقدر حجمك ،
لما كانت ثمينة مثلك . لقد كنت جندياً
كالذي تمناه « كاتو » - شرساً - رهيباً
لا بالضراب فقط ، ولكن بنظراتك الجهممة
وقصف صوتك كالرعد
جعلت اعداءك يرجفون ، كأنما الدنيا
محمومة وترتعد .

(١ ، ٤)

والقائد الفولسي يشير الى مارسيسوس هكذا :
لست أدري ما السحر الذي فيه ،
غير ان جنودك يستعملونه صلاتهم قبل الأكل ،
حديثهم على المائدة ، وشكرهم في النهاية .

(٤ : ٧)

مارسيسوس شجاع . في حملته الأولى وقى جندياً جريحاً بجسمه وحمله من ساحة القتال . وقد جرح سبعا وعشرين مرة في خدمة روما . واستولى على كريبولي بمفرده . وهو من غير أنانية . انه يرفض ان يعطى عشر الغنائم الذي هو من حقه ، ويطالب بتوزيع نصيبه بالتساوي بين الجميع . ولا يريد الحديث عن افعاله البطولية ، كما لا يريد من الآخرين ان يتحدثوا عنها .

والحرب تؤكد التفاوت الطبقي الذي كان مارسيسوس يراه في أيام السلم . فالأشراف والعوام يختلفون في تصرفهم ابان الحرب . وقياساً على مارسيسوس ، ما أبأس ما يبدو العوام ، هؤلاء الذين يرجفون قبل المعركة ، واذا تحقق النصر ، راحوا يتخاطفون الكؤوس والملاعق والخرق الملوثة :

.. أما سادتنا ،

المراتب العامة - لفهم الطاعون ! - يريدون تريونات !

فما نجنب قار هراً مثلها هم راوغوا

أوغاداً أحط منهم .

مارسيوس محق . في الحرب يتصرف العوام كالجرذان . هذه هي المرأة الأولى :
الحرب كما يراها الأشراف . ولكن حتى في هذا الانعكاس تتخذ الحرب فجأة شكلاً
موضوعياً ، كما في « الام شجاعة » . فشكسيردائياً يمضي بمجابهاته حتى أقصى حدودها .
في الحرب ليس ثمة منتصرون فقط ، بل مهزومون أيضاً . هذا تيطوس لارتيوس قد تسلم
زمام السلطة في المدينة المغلوبة :

حاكماً على البعض بالاعدام ، والبعض بالنفي ،

قابلاً فدية هذا ، راحاً ذاك ، مهدداً الآخر ،

قابضاً على كريولي باسم روما .

كمن يمسك بسلوقي يصبص في الرباط ،

ليطلقه حين يشاء .

(١ ، ٦)

ان هذه اكثر من مجرد تشابه هوميرية . ولا نحن نجد مشهداً كهذا في بلوتارك .
هذا تمثيل شامل لكل احتلال . هذا المشهد ايضاً يجب ان نقرأه ونتخيله كما كتبه شكسبير .
انه يناقش نظام القيم الذي يتأفح عنه مارسيوس . ويمثل ما يسميه بريشت « الديالكتيك
الموضوعي » : انه يشير الى حكم الجمهور . . وحس المفارقة الدرامية عند شكسبير يتبدى
في ان قائل هذه الكلمات هو مارسيوس نفسه .

في « كريولانس » هناك خطاب عجيب آخر لمارسيوس . يعود مظفراً الى روما ،
وترحب به أمه وزوجته . ولا تنطق الزوجة كلمة واحدة ، بل تنخرط في البكاء ، فيقول
كريولانس :

... آه يا عزيزتي ،

عيون كهذه انما تحملها الأرامل في كريولي

والأمهات الثكالى .

(٢ ، ١)

هل تنسجم هذه الكلمات مع شخصية كريولانس ؟ انها رقيقة ، حساسة ، اكثر مما نتوقع من قائلها . وفيها نغمة نشاز في لحظات الفرح هذه . انها تقوم مقام الاغاني في قطع بريشت الدرامية . انها ، مرة اخرى ، تموضع الأمر ، تذكرنا بالذين قد هزموا . لم تبق ثمة حاجة للمرأة الأخرى . غير ان شكسبير لا يتخلل عن شيء . انه سيرينا الانعكاس الآخر . الحرب في عيني قائد مهزوم .

أوفديوس : اخذوا المدينة !

جندي أول : ستعاد بشروط حسنة .

أوفديوس : شروط !

ليتي كنت رومانياً ، لأنني عاجز ،

وأنا الفولسي ، ان اكون ما أنا . شروط !

أي شروط حسنة تلقاها أية معاهدة

في الجانب المغلوب ؟ .

(١ ، ١٠)

- ٤ -

تجلس أم كريولانس وزوجته على مقعدين منخفضين ، تحيطان وتطرزان ، وتنتظران انباء القتال . هذه المقاعد المنخفضة بلا ظهر ، التي كانت النسوة يجلسن عليها في الامسيات ويتحدثن ، لنا أن نراها حتى اليوم في ستراتفورد ، بلدة شكسبير . وفي روما شكسبير هناك المنتدى (الـ « فورام ») ، الكابتول ، الصخرة الطاربية ، القناصل ، التربيونات ، مجلس الشيوخ . هذه الأسماء كلها مأخوذة عن بلوتارك . ان الاخطاء الزمنية - التي لاحظها بن جونسون عن رضا - قليلة في كريولانس . وامتعها صورة بطل روماني في المنتدى وهو يلوح بقبعته الكبيرة ازدراء امام جمهور غفير . كريولانس لابساً قبعة يبدو مضحكاً لنا ، ولكنه لم يبد مضحكاً للمتفجرين في عهد اليزابيث .

كان شكسبير يكتب لمسرح عصره . ولم يبدأ الاخراج الشكسبييري في زلي العصور القديمة إلا في أواسط القرن التاسع عشر . أما شكسبير فكان معنياً بنوع آخر من الحقيقة التاريخية .

لم يجد مشاهد الحياة اليومية في بلوتارك ، بل اخذها من تجربته هو في لندن
وستراتفورد . ، وجعلها معاصرة . ومازج بين الراقي والعامي عن قصد . وصوّر روما على
نحو لم يكن كورني أو راسين ليستطيع ان يصورها عليه :

الأسنة كلها تلهج به ، والأبصار العشواء

تلبس النظارات لتراه . هذه المربية الثرثرة

تدع طفلها يخنق بكاء

وهي تهذر عنه . وصبية المطبخ تشد

أثمن خامها حول عنقها الاسخم ،

وتسلق الجدران لتعائنه : فالمصاطب والدكات والنوافذ

تفص ، والسقائف تزدحم ، والخواف تمتطي . . .

(٣ ، ١)

أم كريولانس وزوجته تزورهما جارتهما السيدة الفاضلة فاليريا ، التي تريد ان
تخرج بهما للترويح عن النفس . ولكن فرجيليا لا تريد الخروج من البيت الى ان يعود
زوجها من الحرب . وهي تنسج على نول . فتمازحها السيدة فاليريا بنكتة : « تريدان ان
تكوني بنبلوب أخرى : » ولكن يقولون ان الغزل الذي غزلته كله في غياب يولسيس انما ملاً
ايشاكا بالعث ! « (١ ، ٣) كما في « طرويلس وكريسيدا » تعامل الاسطورة الاغريقية
بسخرية ، لتراها في مظهرها اليومي العادي . لا بطولات هنا ، ولا انتظار متحرق لعودة
قائد شجاع . في هذا الجو العائلي العادي لأمسية جميلة من أماسي ستراتفورد ، تأخذ
فولومنيا فجأة ودون توقع مظهر الام الرومانية - أوبالأحرى ، الأم الاسبارطية . ليس لها إلا
ابن واحد ، غير أنها تؤثر ان تراه ميتاً على ان تراه جباناً . ولو كان لها اثنا عشر ابناً فإنها تؤثر
ان تفقدهم جميعاً : « لاأثرت ان ارى احد عشر منهم يموتون بنبل من أجل وطنهم على واحد
يستغرق في شهواته دونما فعل » .

(٢ ، ١)

أنها المرأة الأولى من جديد . وكما هو دأب شكسبير ، فثمة مجابهة ستتلو ذلك في
الحال . في هذا المشهد ، عدا النسوة الثلاث - الام الاسبارطية ، والزوجة المحبة ، والجارة
الثرثرة - هناك أيضاً ابن كريولانس الصغير . وهو لا ينطق بكلمة واحدة . ولا هو بحاجة
الى ذلك . انه موضوع حديث النسوة :

فاليريا : الابن سراييه ، وايم الحق . قسماً انه لصبي جميل جداً . اندرين ، يوم الاربعاء رحت انظر اليه نصف ساعة باستمرار : له وجه شديد العزم . رأيت يركض في إثر فراشة مذهبة ، وعندما أمسك بها أطلقها ، ثم راح في اثرها مرة اخرى ، ثم عثر ووقع ، فنهض وامسك بها ثانية . ولست ادري ان كانت وقعت قد اغضبتة أو أي شيء آخر - كيف صر بأسنانه ومزقها ! أي والآلهة ، كيف فتفتها !

فولومنيا : احدى حالات أبيه .

فاليريا : انه ولد نبيل ، حقاً .

(١ ، ٣)

« انه ولد نبيل » . المفارقة الشكسبيرية تقصر نفسها على هذه الكلمات . ليس في بلوتارك مشهد كهذا . لقد أعطى شكسبير الأم الاسبارطية حفيداً يسحق « فراشة مذهبة » لمجرد التسلية . هذا كل ما هناك . في « تيطوس اندرونيكوس » - وتعتبر أسمى مسرحيات شكسبير - يقتل الفتى ماركوس ذبابة على صحن . وتيطوس ، الذي سيقدم في المشهد الأخير الى المملكة تامورا اكلة طبخت من قلوب ابنائها ، لا يستطيع ان يرى مقتل ذبابة بريئة :

ولكن هب ان لتلك الذبابة أباً وأماً ؟

لراح كلاهما يمس جناحها الرقيق المذهب ،

ويغنُّ - بالنذب والنحيب في الهواء !

(تيطوس ٣ ، ٢)

طلب الملك لير من الآلهة ان تخفف من قسوة الدنيا . غير ان الآلهة بقيت صامته . وتبين انها لا تقل قسوة عن الطبيعة والتاريخ . في كريولانس تجرد الطبيعة والتاريخ من كل لبوس ميتافيزيقي . فالقسوة جزء من نشأة القائد . وما ابن كريولانس إلا حفيد المرأة الاسبارطية .

يعود كريولانس . ويريد الاشراف تنصيبه قنصلاً . وكل ما عليه ان يفعل ، وفق الشريعة والعرف ، هو أن يخرج الى المنتدى (الفورم) ، ويعرض نذب جروحه على المواطنين ، ويطلب موافقتهم . ولكنه يرفض ، لشدة ما يحترق الشعب . انه جندي ولن يكذب . وهو يريد ان يبقى صادقاً مع نفسه - أي صادقاً مع طبيعته . السور لا تسف الى

مستوى الجرذان والغربان . وكريولانس يريد أن يقر العالم بعظمته . ألا ان العالم منقسم الى عوام وأشراف . ونظام كريولانس الهرمي لا يتفق والعالم الحقيقي . والجرذان تأتي ان تعتبر نفسها أحط من النسور .

الام الاسبارطية ترجو ان يتواضع ويذهب الى المتدنى ليطلب أصوات الناس ، قائلة ان الدهاء لا يناقض الشرف ، وليس عاراً ان يستعمل في الحرب ، والحرب لم تنته ، بعد ، فالعدو داخل أسوار المدينة . والعوام هم العدو :

... من الواجب عليك الآن ان تتحدث

الى الشعب . لا بما توعزه اليك نفسك ،

ولا بما يلقنك اياه قلبك ،

ولكن بكلمات كالتي يحفظها

لسانك ، وان تكن كلها بنات حرام ...

.....

وهذا لن يمس شرفك أبداً

أكثر مما يمس استيلاؤك على مدينة بالقاذ معسولة .

لولاها لجازفت بمصيرك .

وبأخطار سفك دماء كثيرة .

(٣ ، ٢)

بالنسبة الى الام الاسبارطية ، لا فرق بين الحرب والسلم ، بين العدو الخارجي والداخلي . فأم كريولانس ، كالعوام ، انما ترى طبقتين تكره احدهما الأخرى ، ولا تنتهي الحرب بينهما . وفيما عدا ذلك ، فإن روما بالنسبة اليها هي الأشراف .

روما وجرذانها على وشك الوقعة ،

ولا بد لأحد الطرفين من هلاك !

(١ ، ١)

هذه الكلمات يقوها اغريبا نفسه ، الذي روى للعوام التأثيرين حكاية المعدة

وأعضاء الجسم المتمرد . هو ايضاً يزور كريولانس ويطلب اليه ان يذهب الى المنتدى .
ولسوف يذهب كريولانس ولكن مكرهاً . في هذه الدراما التي تدور حول الحقد الطبقي
نجد ان كريولانس هو كما يراه العوام ، ولكن العوام ايضاً هم كما يراهم كريولانس .
فشكسبير لا يعاني من أي وهم وان يكن قد حكم على العالم ، فإن ذلك لن ينجم عنه تغير
العالم ، واللهب الكبيرة قد تثير النشوة أو الرعب ، غير أنها تبقى ناراً آكلة .

وأما الكثرة المتقلبة الخبيثة العبق .

فليتمعنوا فيّ انا الذي لا أتملق

يشاهدوا فيّ أنفسهم ...

(١ ، ٣)

في مسرحية يوليوس سلوفاجكي ، كورديان ، يقول الغراندوق قسطنطين : « يقف
الناس هناك ، ساكنين ، مظلمين ، موحلين . أنا لا أحب هؤلاء الناس » . والناس في
كريولانس مظلّمون وموحلون ، ولكنهم غير ساكنين . انهم ينبحون كقطيع من الكلاب
الضارية حرمت عظمة تأكلها . والناس في المشهد الأول يريدون قتل كريولانس ، ولكنهم
فيما بعد يتفرون حال سماعهم أول أنباء الحرب .

يتجمهر الناس في الشوارع ويقذفون بقبعاتهم عاليًا في الهواء ، ليرحبوا بمقدم
كريولانس نفسه بعد انتصاره . ينسون كل شيء ، ويوافقون على تنصيبه قنصلًا . كل ما
يرجون منه هو كلمة طيبة واحدة . وبعد ذلك بساعة ، اذ يحرضهم التريبونان، يطالبون
برأس كريولانس ، ويطردونه من المدينة . ومرة اخرى تقذف القبعات عاليًا في الهواء .
وعندما يظهر كريولانس ، قائداً جيش الفولسيين ، على أبواب روما ، ينقلب العوام على
قادتهم ويريدون تقطيعهم ارباً . ويتملقون الاشراف يلتمسون الرحمة . انهم مستعدون
لقبول أي شيء من اجل انقاذ اسمائهم النتنه ، وحياتهم .

... وذاك الذي تقلص كالجزر ، وما احبه أحد

حتى ما عاد أهلاً لحب ،

يعود عزيزاً عندما يفتقد . جموع العوام هذه ،

كراية شريدة يحملها السيل ،

تذهب وتزوب خانعة للتيار المتقلب

حتى تهريء نفسها بالحركة .

(انطوني وكليوباترا ، ١ ، ٤)

هذه العبارة ، من انطوني وكليوباترا يمكن ان تكون من كريولانس ، أو هنري السادس ، أو يوليوس قيصر . في مشهد الاغتيال الرائع من المسرحية الاخيرة ، يهتف الجمهور لبروتس لتحقيقه قتل قيصر . ولكن ما يكاد مارك انطوني ينتهي من خطابه ، حتى يغضب العوام على قتل قيصر ، وينقلبون على القتلة . لقد رأى شكسبير كيف اكتظت الجماهير في الطرقات لاستقبال اللورد اسكس بالمشاعل ، وكيف اكتظت فيها بعد لرؤية الجلاذ يقطع رأسه . الشعب بالنسبة الى شكسبير ان هو إلا موضوع التاريخ ، لفاعله . قد يثير الاشمئزاز أو الشفقة ، أو الرعب . غير أنه لا حول له ، انه العوبة بأيدي أولئك المسكين بزمam السلطة . من هم هؤلاء التريونات؟ في كريولانس نرى اثنين منهم . هذان اثنان من قضاة لندن ، انتخبهما أهل الحرف ، يضعهما شكسبير في متتدى روما . هكذا يصفهما منيوس :

منيوس : ما تطمحان إلا لرؤية الأناس المساكين يرفعون لكما القبعات ويشنون الركب . انكما لتستهلكان ضحي جيلاً مفيداً بسماع قضية تقام بين بائعة برتقال وبائع حنفيات ، ثم تؤجلان مناقشة العشرين فلساً الى جلسة يوم ثانٍ ! وعندما تنظران في أمر ما بين فريق وفريق ، اذا قرصكما المخص ، تقلصت وجوهكما كالمثلثين الصامتين ، ورفعتما البيرق الدامي ضد الصبر الجميل ، وصرفتma المرافعة وهي بعد نازفة ، وانتما تصرخان في طلب قعادة . . .

(٢ ، ١)

هذان الاحقان الخاملان ، بكل ما فيها من عجرفة وعنف وضيق صدر ، هما اللذان يمثلان الشعب في كريولانس . انهما « الراعيان لوحوش العوام » ، ورائحتهما لا تقل خبثاً عن رائحة السوق . كلاهما مبتلى بنوع من الجرب ولا يكف عن حك جلده ك بعض القروذ . ولكنها يعرفان كيف يحميان قطيعهما . هذان التريونان ، بروتس وسيسينيوس ، قد يكونان قميئين ، مشوهين ، حسودين ، شكاكين ، إلا أن لديها غريزة طبقية . يسألان عن أبناء الحرب .

بروتس : أطبية أم سيئة ؟ .

منيوس : ليست كما يرجوه الشعب . لأنهم لا يحبون مارسيوس .

مسنينوس : ان الطبيعة تلقن الحيوانات معرفة اصدقائها .

(٢ ، ١)

ليس شكسير مفتوناً وحسب بتحول الحاكم العادل الى طاغية ، انه مفتون بالتاريخ نفسه . أين ومتى يتقرر ، ومن يقرره ؟ هل له وجه انسان . اسم أمير وعواطفه ، أم أنه مجرد تراكم من الصدف ، أو آلة اخذت تتحرك ؟ في « كريولانس » نرى التاريخ وهو يمثل في ميدان المدينة . وهذان الرجلان القميئان المضحكان يساهمان في دفعه .

هيا الى الكابتول .

سنكون هناك قبل وصول سيل الشعب ،

فيبدو هذا الذي دفعناهم اليه ،

وان يكن بعضه منهم ، وكأنه كله من فعلهم .

(٢ ، ٣)

في مشاهد القتال يندفع الجنود عبر المسرح ، والسيوف في أيديهم ، ويقف الامراء على الجانبين المتقابلين من المنصة مع الاعلام الكبيرة . ويراقب القادة ساحة المعركة من على الشرفة العليا . فشكسير يقدر للبهجة قيمتها ، غير ان بهجة المشهد ليست هدفاً بحد ذاتها لديه . انه يشجب الحرب بابرار المذبحة الاقطاعية . « الكومبارس » يملأون المسرح : انهم يمثلون الشعب . وفي المسرح الداخلي ، أو على الشرفة العليا ، يجلس الشيوخ بأبهة تأخذ البصر . وعلى المنصة الأمامية ، أقرب اجزاء المسرح الى المتفرجين ، يقف كريولانس ، ومنينوس ، وتريبونان . والأخيران ما عادا يثيران الضحك :

اننا نتهكم بأنك تأمرت على

تجريد روما من كل منصف وطيد ،

وعلى الانتهاء بنفسك الى تسلط المستبد ،

وبهذا تكون خائناً للشعب .

(٣ ، ٣)

واذا أحد شوارع لندن القرن السابع عشر يتحول أمام أعيننا الى مشهد عظيم للثورة

الشعبية . ليس في بلوتارك مشهد كهذا . لقد كان شكسبير أول من القى رداء حاة الحرية والجمهورية الروماني على اكتاف اثنين من صناع لندن بكل ما فيها من رائحة وهوى للمضجيج . لا شك ان اليعقوبيين ، في الثورة الفرنسية ، كانوا سيتبينون أنفسهم في تريبوني شكسبير الشعبين أفضل مما تبينوها في لوحات الرسام دافيد الضخمة :

بروتس : لم يبق ما يقال . انه منفي ،

كعدو للشعب ووطنه :

لقد وجب التنفيذ .

مواطنون : وجب التنفيذ ، وجب !

(٣ ، ٣)

في مشاهد القتال والنهب يبرز لنا شكسبير الوجه الأزلي للحرب والاحتلال . والميزة الكبرى في المآسي الشكسبيرية هي شموليتها التاريخية . وشكسبير غني عن التحديث أو التنقيح لجعله معاصراً ، لأن التاريخ يملاً مسرحياته بمحتوى جديد أبداً ، ويرى فيها انعكاسه ، في كل عصر . في المشهد الأول من « كريولانس » ، نص العوام على نظريتهم في التقسيم الطبقي بكل ما أوتوا من صخب . والآن ، ها هم يجابه الواحد الآخر : الشيوخ بأناقاتهم وبرودهم ، والعوام وهم يهزون بقبضاتهم ويلوحون بعصيتهم . هذا المشهد نفسه سيتكرر في مواقف تاريخية كثيرة . في الكابتول وفي المنتدى ، تتكشف قوانين الثورة ، والمواقف والصراعات كلها ، محددة واضحة كالمعدات ، ومركزة في عبارات من حوار . « القمة » و « الحضيض » يقفان وجهاً لوجه ، اليعقوبيون والجرنديون ، الديمقراطيون الثوريون ، والليبراليون . هذه محاكمة كريولانس تستمر :

يقول بروتس ، أو اليعقوبيون :

... هذه الأساليب الباردة .

التي تبدو أشبه بأسعافات حكيمة ، شديد سمها .

إذا كان الداء عنيفاً . اعتقلوه

واحملوه الى الصخرة .

ويقول مينيوس : ، أو الليبراليون :

لا تصيحوا بالويل والثبور ، وطراكم

بعد غير مؤكد .

.....

قسماً لكم ، اذ راح يقتل الاعداء
فقد من الدم أكثر مما في عروقه منه . . .
أما أن يستنزف وطنه ما تبقى من دمه ،
فانها لنا كلنا ، من يفعلها ومن يسمح بها ،
وصمة عار الى أبد الأبدین ،
اذا القدم أصيبت بالاكال ،

.....

الا تحترم خدمتها لما كانت
عليه من قبل ؟

.....

سيروا وفق الأصول .
ويقول شيخ ، أو الأرستقراطيون :
ايها الترييونان الكريمان ،
هذا هو الأسلوب الانساني : أما الطريق الأخرى
فلن تكون إلا دموية ، ونهايتها
مجهولة لدى بدايتها .
ويقول مسينيوس ، أو الجرنديون :
أيها الكريم مننيوس ،
فلتكن انت اذن كموظف للشعب .
ايها السادة ، اخفضوا سلاحكم .

ويقول بروتس ، أو اليعقوبيون :

لا تذهبوا الى بيوتكم !

(١ ، ٣)

الشعب في كريولانس احمق وجاهل ، نتن الرائحة وافراذه ينهمكون بتجميع الخرق
التنة في ميادين القتال . والتريبونان قميثان ، مشوهان ، غماتلان . وكريولانس شجاع ،
عظيم ، نبيل . بيد ان الشعب هو روما ، وكريولانس خائن لبلده .

سسينوس : وهل المدينة إلا الشعب ؟ .

مواطنون : حقاً ،

الشعب هو المدينة .

بروتس : لقد تثبتنا برضا الجميع .

قضاة للشعب .

مواطنون : وما زلتم كذلك .

(١ ، ٣)

الآن فقط يبدأ القسم القوي الثاني من الدراما . نفى العوام كريولانس من روما ،
والأشراف الجبناء قد هجروه . لم تقدر روما شجاعته ونبله : لقد برهنت روما انها
منحطة .

كريولانس : . . . من اجلكم .

احتقر المدينة ، وأدير لهاظهري هكذا .

ثمة عالم في مكان آخر .

(٣ ، ٣)

ولكن عالم شكسبير مزدحم ، ولا فراغات فيه . ليس هناك إلا الاشراف ،
والعوام ، وأعداء روما . ولن يستطيع كريولانس اختيار مكان له إلا في العالم الذي احرقه
هو . فهو لا يذهب الى اللامكان ، ولا يستطيع ذلك ، كما يفعل الابطال الرومانسيون .

المواقف يقررها التاريخ ، وهي فوق ارادته ومستقلة عنه . سيذهب كربولانس الى الفولسين . لقد أثبت التاريخ ان العوام محقون : عدو الشعب أصبح عدو روما . في الفصول الثلاثة الأولى من المسرحية نشاهد دراما مجرداء هي دراما المواقف الطبقية . بوسع المرء ان يدعوها أيضاً دراما الحتمية التاريخية . وليس فيها من فرق بين الوضع الاجتماعي والفعل ، أو السيكولوجية . وكربولانس بإمكانه أن يكون رجلاً بلا اسم ، تماماً « كالمواطن الأول » و « المواطن الثاني » و « المواطن الثالث » . ما هو إلا قائد عسكري طموح ، يكره الشعب وينضم الى معسكر العدو عندما يخفق في الحصول على السلطة الديكتاتورية . ومن لحظة خيانة كربولانس فقط يكف العالم عن كونه واضح المعالم منتظماً وفق مبدأ واحد . ما عاد التاريخ معلماً للأخلاق العلمانية . ونضحي تناقضات العالم الموضوع التالي للمأساة . وهذا الموضوع الجديد لا يقل ملاءمة لشكسبير عن الموضوع الأول . حتى الأسلوب نراه يتغير : انه تارة غروتسكي ، وتارة مثير للشفقة ، وأخرى ساخرة . وكربولانس يهزأ من نفسه ومن العالم ، كما كان يفعل هاملت عندما يتحدث الى بولونيوس . بل انه يصف حتى احلامه . « الزمان مضطرب » ، بالضبط كما كان في مملكة الدانمرك .

خادم ثالث : اين تقيم ؟

كربولانس : تحت السرادق .

خادم ثالث : تحت السرادق ؟

كربولانس : نعم .

خادم ثالث : وأين يكون ؟

كربولانس : في مدينة الحدآت والغربان .

خادم ثالث : في مدينة الحدآت والغربان ؟ يا للحمير !

اذن أنت تقيم مع الزيفان كذلك ؟

كربولانس : كلا فأنا لا أخدم سيدك .

(٤ ، ٥)

لا يليق دور الخائن بكربولانس . لا وضعه الخاص يقرر ذلك ، ولا وجوده الاجتماعي . وذاته الداخلية لا توافق عليه . ولئن يعلن التاريخ ان العوام كانوا على

حق ، فإن شكسير لا يعترف بأن التاريخ كان على حق ، أو أنه كان على حق نهائياً . لقد تبين ان التاريخ أقوى من كريولانس : فأمسك به وزج به في طريق مسدود ، وجعل منه خائناً مزدوجاً .

لقد هزىء التاريخ بكريولانس ، ولكنه لم يفلح في تحطيمه . في الفصلين الرابع والخامس نرى ان كريولانس قد تخطى بنموه الرومان والفولسين كليهما ، العوام والاشراف معاً . وفي هزيمته ثمة انتصار ، انتصار على الأقل ، بالمعنى الذي يعرفه ابطال روايات جوزف كونراد .

يقول منيوس عن كريولانس ان طبيعته انبل مما يستحقه العالم ، في حين ان ممثل الشعب بروتس ، يقذف بهذه الكلمات في وجه كريولانس :

انك تتحدث عن الشعب

كأنك إله يعاقب ، لا بشر

يشاطر البشر ضعفهم .

(١ ، ٣)

والرأيان متناقضان في الظاهر فقط . ان كريولانس يحترم العالم ، لأن العالم حقير . وهو يريد تدمير العالم ، بما فيه روما ، لأن العالم وروما لا يستحقان البقاء :

حاولت ان اوقف مشاعره

تجاه أصدقائه الاخصاء ، فكان جوابه لي

انه لا يستطيع التريث لانتقاطهم من كومة

من العصاف العفن التتن ، وقال ان من الحماسة

ألا تحرق النفايا من أجل حبة هزيلة أو حبتين ،

ويبقى التتن في الأنف .

(١ ، ٥)

ان كريولانس يقاوم العالم بنظام من القيم خاص به ، مهما يكن غير معقول . لقد انبثقت هزيمته لحظة موافقته ، رغماً عن نفسه ، على الذهاب الى المنتدى ليعرض آثار

جروحه ويطلب الأصوات . ولم يطلب هذا اليه أمه فقط ، ومننيوس والاشراف ، بل الشعب وتريبناته أيضاً . ومفارقة شكسبير الدرامية تبرز في ان كلا الفريقين - رغم ما بينهما من كراهية وصراع - طالب كريولانس بتنازل ما ، من أجل حل وسط . وحين تنقلب القيم فجأة في نهاية المساة ، وحده كريولانس يرفض التنازلات والحل الوسط ، أو على الأقل يحاول رفضها :

أشبه بممثل بليد .

نسيت الآن دوري ...

(٣ ، ٥)

مرة أخرى اثبت العالم انه اقوى من كريولانس . كان برونس محقاً : ما كريولانس إلا بشر ، مليء بمواطن الضعف ، كغيره من البشر . كريولانس يريد تدمير العالم ، لأن العالم يناقض شرائع الطبيعة . ولكن باسم هذه الشرائع عينها تدينه الام والزوجة والولد . وعليه ان يدين نفسه . ويشعر أنه قد وقع في شرك نصبه له العالم الحقيقي الذي لا يتهاود ولا يرحم . ويسقط ضحية ميثولوجية ، ضحية ما في شرائع الطبيعة من منطق مجنون .

ولكن ، اليك عني أيها العطف !

وليتكسر كل قيد وحق تفرضه الطبيعة !

وليكن العناد فضيلة .

.....

... افي أذوب ،

وما أنا بتراب أصلب من الآخرين . أمني تنحني -

كأنما جبل اولب ينحني ضارعاً

لكومة تراب صغيرة ، وابني الحدث

يتشفع بوجه تصرخ له

الطبيعة العظيمة : « لا ترده ! »

(٣ ، ٥)

لقد أدرك كريولانس انه خدع في توزيع الأدوار ، . أراد أن يلعب دور إله منتقم . في حين انه لم يعط في سيناريو التاريخ إلا دور خائن . لم يبق له إلا أن يحطم نفسه بنفسه . سيكشف يده عن روما ليؤكد نبلة ، ليخرج من الدور الذي فرض عليه . غير ان عليه ، لانقاذ روما ، ان يقترب خيانة اخرى . وكحادث يمينه سيقتله الفولسيون . ويحيى مصرعه مأساوياً وساخراً في وقت معاً . انه مأساوي في العالم الذي خلقه كريولانس ، مأساوي وفق نظامه المطلق المجنون للقيم . وهو ساخر في العالم الحقيقي ، عالم الواقع . وأما شجاعة كريولانس ونبلة فلسوف بمدحهما الرجل الذي قتله - القائد الفولسي أوفديوس . انه سيؤبنه التأين الأخير ، كتأين أغسطس قيصر لأنطوني ، أوفورتنبراس لهاملت . في روما تقام الأفراح ويحتفل الناس بالسلام . ولأول مرة في هذه المسرحية الجهمة ، المليئة بصليل السيوف وصراخ الجماهير ، ثمة انغام وموسيقى ، وتشرق الشمس . ان « كريولانس » تنتهي كما تنتهي مسرحية دورنمات « الزيارة » . يقتل الفريد أيل ، فيتمتع أهالي غولن برفاههم الجديد ، ويحتفلون فرحين بعيد العدالة .

الأبواق والمزامير ، السنطور والناي ،

الدفوف والصنوج ، وصيحات الرومان :

كلها تجعل الشمس ترقص . اسمع !

(٥ ، ٤)

هنا الشوكة في خصر هذه الدراما ، وهي التي كانت السبب لأمد طويل في عدم الاقبال عليها . صورة العالم مصدعة ويعوزها التماسك . لم تحل التناقضات ولم يوجد نظام للقيم مشترك بين المدينة والفرد . « انه يحب شعبك ، ولكن لا تجبره على مشاركته الفراش » ، يقول منتيوس لبروتس ، مشيراً الى كريولانس . ولكن ذلك غير صحيح . كريولانس لم يحب الشعب . إلا أن هذا لا يعني ان على كريولانس ان يدان ويحكم . ففي تلك الجملة تتركز خلاصة الدراما المرة لإنسانية النهضة - بل كل إنسانية اخرى .

ماساة كريولانس

اشخاص المسرحية

Caius Marcius	كايبوس مارسسيوس : يدعى فيما بعد كايبوس مارسسيوس كريولانس ، روماني نبيل
Titus Lartius	تيطوس لارتسيوس : {
Cominius	كومينيوس : { قائدان ضد الفولسيين
Menenius Agrippa	مينيوس أغريبا : صديق لكريولانس
Sicinius Velutus	سينسيوس فلوتوس : {
Junius Brutus	يونيوس بروتس : { اثنان من تريونات الشعب
Young Marcius	مارسيوس الصغير : ابن كريولانس
A Roman Herald	رسول روماني :
Tullus Aufidius	تلوس أوفديوس : قائد الفولسيين
Lieutenant to Aufidius	ملازم لاوفديوس
Conspirators with Aufidius	متآمرون مع اوفديوس
A Citizen of Antium	مواطن من أنتيوم
Two Volscian Guards	حارسان فولسيان
Volumnia	فولومنيا : أم كريولانس
Virgilia	فرجيليا : زوجة كريولانس
Valeria	فاليريا : صديقة فرجيليا
Gentlewoman attending on Virgilia	وصيفة تخدم فرجيليا
	شيوخ رومان وفولسيون ، اشراف ، ايديلات ،
	شرطة ، جنود ، مواطنون ، سعاة ، خدم .
	لاوفديوس ، مرافقون .

مكان المسرحية : يتراوح بين روما وضواحيها ، وكريولي وضواحيها ، وأنتيوم .

الفصل الأول

المشهد الأول

روما. شارع

تدخل جمهرة من المواطنين الثائرين،
يحملون العصي والمراوات وأسلحة أخرى

مواطن أول : قبل أن نتقدم أكثر من هذا ، اسمعوني اتكلم .

مواطنون : تكلم ، تكلم .

مواطن أول : كلكم مسممون على انكم تؤثرون الموت على التضرّ جوعاً ؟

مواطنون : مسممون ، مسممون .

مواطن أول : أولاً ، انتم تعلمون ان كايوس مارسيوس هو عدو الشعب الأكبر ؟

مواطنون : نعم ، نعم .

مواطن أول : لنقتله ، فنحصل على القمح بالسعر الذي نريد . أهذا قرار ؟

مواطنون : كفانا كلاماً عنه . لننفذه : هيا ، هيا !

مواطن ثانٍ : كلمة واحدة ، أيها المواطنون الطيبون .

مواطن أول : اننا نعتبر مواطنين فقراء . أما الطيبون فالأشراف . وما يتختم أهل السلطة

كافٍ لاسعافنا : فلو انهم يقدمون لنا الفيض عن حاجتهم ، قبل أن

يعفن ، لقلنا انهم يسعفوننا بانسانية . غير انهم يحسبوننا نكلّفهم غالباً .

والهزال الذي يبتلينا ، مشهد يؤسنا هذا ، ليس إلا كشفاً بتفاصيل وفرهم .

معاناتنا كسب لهم . فلننتقم لذلك بعصيان الغليظة ، قبل أن نضحى عيداً رفيعاً . تعلم الآلهة أنني ما أقول هذا إلا جوعاً للخبز ، لا ظمأً للانتقام .

مواطن ثانٍ : أتريدون أن تسيروا على الأخص ضد كايوس مارسيوس ؟

الجميع : ضده أولاً : انه للجماهير كلب بعينه .

مواطن ثانٍ : هل اعتبرتم الخدمات التي قدمها لبلاده ؟

مواطن أول : أحسن اعتبار . ولكننا نسعد بأن نقول فيه أجود الحمد ، لولا أنه يكافئ نفسه بالكبرياء .

مواطن ثانٍ : أرجوك ، لا تتكلم بحقد .

مواطن أول : اني أقول لكم ، كل ما اشتهر بفعله ، لم يفعله إلا للغاية تلك . فلئن يقنع ذوو الضمير الرقيق بالقول انه فعل ما فعل من أجل بلاده ، فإنه انما فعله ليرضي أمه ، وبعضاً ليملا نفسه كبراً . متكبر هو ، حتى الذروة من شجاعته .

مواطن ثانٍ : ما لا حيلة له به في طبعه ، تعدّه أنت رذيلة فيه . ولكن إياك أن تقول انه جشع .

مواطن أول : ان لم أقل ذلك ، فإنني لم أعدّم اتهامات له . ان له من النقائص ، حتى الفيض ، ما يُملّ تعداده . (صيحات من الداخل) ما هذه الصيحات ؟ لقد ثارت الناحية الاخرى من المدينة ! فيم بقاؤنا هنا نثرثر ؟ الى الكاتبول !

الجميع : هلموا ، هلموا !

مواطن أول : لحظة ! من القادم هنا ؟

مواطن ثانٍ : السيد الفاضل مينيوس أغريبا ، رجل أحب الشعب دائماً .

مواطن أول : رجل لا غبار عليه : ليت الآخرين كانوا مثله !

يدخل مينيوس أغريبا

مينيوس : أي فعل انتم بصدده ، أيها المواطنون ؟ اين تذهبون بالعصي والهاويات ؟ ما الأمر ؟ تكلموا ، أرجوكم .

مواطن أول : شأننا ليس بالمجهول لدى مجلس الشيوخ . لقد رأوا هذين الاسبوعين بوادر
عما ننوي القيام به ، وهو ما سوف نريهم اياه الآن أفعالاً . يقولون ان لأهل
الحاجة انقاساً قوية : لسوف يعلمون ان لنا سواعد قوية كذلك .

مواطن أول : لن نستطيع فعل ذلك يا سيدي ، فقد هلكنا وانتهينا .

مَنِينِيُوس : اقول لكم ، ايها الصاحب ، ان للأشراف بكم
أكرم العناية . أما مطالبيكم .

أما معاناتكم في القحط هذا ، فما رفعها

بوجه الدولة الرومانية إلا كرفعكم العصي

بوجه السماء . ولسوف تمضي الدولة

في الطريق الذي اتخذته ، مقطعة عشرة آلاف عنان

أمتن حلقات من كل ما قد يبدو في عوائقكم . فالقحط

من صنع الآلهة لا الأشراف .

وثني الركب لها ، لا رفع السلاح ، هو الذي يفيدكم

يؤسفني أن الرزية قد شطت بكم

الى حيث المزيد في انتظاركم .

وأنتم انما تطعنون في مسيري الدولة المعنين بكم كالآباء

عندما تشتمونهم كالأعداء .

مواطن أول : المعنين بنا ! صحيح والآلهة ! ما عُنُوا بنا حتى اليوم قط .

يجعلوننا نجوع ، وعنابرهم محشوة بالقمح . يصدرون المراسيم

للربا ، ليدعموا المرايين . يلغون كل يوم أي قانون شرع ضد

الأغنياء ، ويأتون كل يوم بالشرائع الجارحة ، لغل الفقراء

وكبحهم . إن لم تلتهمنا الحروب ، التهمونا هم : هذا كل ما يكتونه لنا من

حب .

مَنِينِيُوس : اما أن تعترفوا بأنكم جد حاقدين ،

أو تتهموا بالحقاقة . سأروي لكم

حكاية جميلة : ربما سمعتموها من قبل ،

ولكن ، لأنها تخدم غرضي ، سأجازف بالنيل من طراوتها
من جديد

مواطن أول : سأسمعها يا سيدي . ولكن لا تحسبن أنك تخادعنا عن زرايتنا
لمحض حكاية . تفضل بالكلام .

مينيوس : كان ما كان أن أعضاء الجسم كلها
ذات يوم تمردت على البطن ،
واتهمته قائلة انه كالهوة باقي
وسط الجسم ، خاملاً عاطلاً
يخزن الطعام دوماً ، ولا يتحمل يوماً
مشقة كالتي تتحملها البقية . في حين ان الأدوات الأخرى
تبصر ، وتسمع ، وتبتكر ، وتعلم ، وتمشي ، وتمس ،
وهي اذ تسعف الواحدة الأخرى إنما تخدم
الرغاب والمواطف المشاعة في الجسم كله .
فأجاب البطن -

مواطن أول : أجل ، سيدي ،

ماذا أجاب البطن ؟

مينيوس : سأخبرك يا سيدي . بابشامة
لم تصدر قط عن الرئتين ، هكذا -
فأنت ترى انني قد اجعل البطن يتسم
كما أجمعه ينطق - أجاب البطن زاجراً
الأعضاء الساخطة ، تلك الأجزاء المتمردة
التي تمسده على ما يتسلم ، بالضبط كما تحسون فعلاً
اذ تذمون شيوخنا لأنهم
ليسوا مثلكم .

مواطن أول : ماذا كان جواب بطنك ؟

الهامة المتوجة ملكياً ، العين اليقظة ،
القلب الناصح ، الساعد جندينا ،

الساق جوادنا ، واللسان بواقنا ،

وغير ذلك مما في هيكلنا هذا

من مدافعين وصفار المعنيين ،

ان كانوا

مـنـيـيـوس : ثم ماذا ؟

والله ان هذا الرجل ليتكلم ! ثم ماذا ؟ ثم ماذا ؟ .

مواطن أول : سيتحكّم بهم البطن الجشع

وهو بالوعة الجسد -

مـنـيـيـوس : نعم ، ثم ماذا ؟

مواطن أول : اذا تشكّى هؤلاء العاملون ،

ما الذي بوسع البطن أن يجيب ؟

مـنـيـيـوس : سأقول لك :

ان كنت ستمنحني شيئاً من هذا الذي ليس عندك منه

الا القليل - الصبر ، ستسمع جواب البطن .

مواطن أول : أراك تماطل بذلك .

مـنـيـيـوس : تفضّل واسمع ، يا صاح .

كان صاحبك البطن الوقور متأثياً ،

لا طائشاً كمتهميه ، فأجاب هكذا :

قال : « صحيح أيها الصاحب المتحدون

أنني أول من يتسلم طعام العموم

هذا الذي تعيشون عليه ، وذاك خليق بي

لأنني مخزن الجسم كله

وحانوته : ولكنني ، ان كنتم تذكرون ،

أرسله في أنهر دمكم

الى البلاط ، القلب ، والى مقرّ العقل .

ومن خلال عمرات وحجرات الانسان

تتلقّى مني أقوى العضلات وأحطّ العروق

القدرة الطبيعية التي

تحيا بها : فإن كنتم ، أيها الصاحب الكرام

لا تستطيعون جميعاً - « هكذا يقول البطن ، أمتهبون ؟

مواطن أول : نعم ، سيدي ، نعم . ثم ؟

مينيوس : « فإن كنتم لا تستطيعون جميعاً أن تروا
دفعه واحدة ما أوصله الى كل واحد منكم ،

فإن بامكاني أن أقدم لكم الحساب » ، لأريكم

ان الكل ينال مني طحين الكل

ولا يبقى لي أنا إلا النخالة « فما رأيكم ؟

مواطن أول : جواب لا بأس به . كيف تطبّقه ؟

مينيوس : شيوخ روما هم هذا البطن الصالح ،

وانتم الأعضاء المتمرده . لأنكم لو تفحصتم

نصائحهم واهتماماتهم ، وهضمتم الأمور كما ينبغي

بصدد الصالح العام ، لوجدتم

أن ما من خدمة عامة تنالونها

إلا وتصدر عنهم ، وتنبثق منهم

لا عنكم أو منكم أنتم . ما رأيك

أنت ، يا أخص هذا التجمع ؟

مواطن أول : أنا أخص ، لماذا أخص ؟

مينيوس : لأنك ، وأنت من أخط ، وأحقر ، وأفقر

هؤلاء المتمردين العاقلين ، أول من يسير أمامهم

فأنت أهزل من في القطيع ، وأسوأ من فيه طراداً ،

وتسبق الجميع لكسب مغنم لنفسك .

ولكن عليكم بالعصي الغليظة والمراوات :

فروما وجرذانها على وشك الوقعة .

ولا بد لأحد الطرفين من هلاك !

يدخل كايوس مارسيوس

سلاماً ، أيها النبيل مارسيوس !

مارسيوس : شكراً . ما الأمر ، أيها الأوغاد المتنازرون ،

تمنعون في حكّ آرائكم
 فتصيبون أنفسكم بالحرب ؟
 مواطن أول : لا يصيبنا منك أبداً إلا الكلمة الطيبة !
 مارسيسوس : من يسمعك كلمات طيبة يوافق نفاقاً .
 أخطّ من المقيت . ما الذي تريدون ، أيها الأجراء ،
 يا من لا السلم تحبون ولا الحرب ؟ هذه ترعّبكم ،
 وتلك تملؤكم عجرفة . من يثق فيكم ،
 ويتوقعكم أسوداً ، يجدكم أرايب ،
 وإذا توقعكم ثعالب ، وجدكم اوزراً ،
 فما انتم أولى بالثقة من
 جمرة النار على الثلج ،
 أو برّد في الشمس . أما فضيلتكم
 فهي أن تجعلوا محترماً ذاك الذي يذله جرمه
 وتشتّموا العدالة التي أدلته . من يكن أهلاً للعظمة .
 يكن أهلاً لكرهكم ، وما حبكم إلا
 شهية المريض ، الذي أشد ما يشتهي
 هو ذاك الذي يزيد من دائه . ومن يعتمد
 على الهوى منكم إنما يسبح بزعانف من رصاص
 ويحطّط السنديان بعيدان من قصب . أثقة بكم ، قاتلتكم الآلهة ؟
 نغيّرون رأيكم كل دقيقة ،
 فتدعون نبيلاً ذاك الذي كان الآن موضع كرهكم ،
 وحقيراً ذاك الذي كان اكليل غاركم . ما الذي جرى
 حتى رحتم في اماكن مختلفة من المدينة
 ترفعون العقيرة ضد الشيوخ الأفاضل ، وهم الذين ،
 بعد الآلهة ، فرضوا الخوف عليكم ،
 وإلا لأكلتم بعضكم بعضاً ؟ ما الذي يطلبون ؟
 منينيسوس : القمح بالسعر الذي يقررونه . يقولون
 ان المدينة مخزونة بالقمح .
 مارسيسوس : قاتلتهم الآلهة ! يقولون !

انهم يجلسون الى الموقد ، ويزعمون معرفة
 ما يجري في الكابوتول : من الصاعد ،
 ومن الموقف ، ومن المتكس . يتحيزون لفئة دون أخرى
 ويتخرون بزواج هذا من تلك ، رافعين من شأن بعض الأحزاب
 وحاطين من قدر التي لا تحوز رضاهم
 الى ما دون نعالهم المرقعة . يقولون ان ثمة من القمح كفاية !
 ليت الأشراف يتخلون عن رأفتهم
 ويأذنون لي بإعمال سيفي ، لأقت
 من أشلاء آلاف العبيد هؤلاء ركاًماً
 بعلو ما يبلغه رعي المقدوف .

منينوس : لا بأس ، لقد كاد هؤلاء يقتنعون تماماً ،
 فهم قد ينقصهم الكثير من العقل
 إلا أنهم في غاية الجبن ، ولكن ، أرجوك ،
 ماذا تقول الجماعة الأخرى ؟

مارسيوس : تفرقت ، لعنتها الآلهة !
 قالوا انهم جياع . راحوا يتهدون امثلاً -
 « الجوع يهدم جدران الحجر » ، « لا بد للكلاب من أكل » .
 « خلق الطعام للأفواه » ، « ليس للأغنياء فقط
 ترسل الآلهة القمح » - بمثل هذه التنف
 راحوا ينفثون شكواوهم . وعندما استجيب لهم ،
 ونالوا التماسهم ، على غرابته -
 وانه ليفطر القلب من كل ذي عتد ،
 ويشحب الوجه من السلطة الجريئة - قذفوا بقبعاتهم
 كأنهم يريدون تعليقها على قرون القمر ،
 وهم يصرخون بحقدهم .

منينوس : ما الذي نالوه ؟

مارسيوس : خمسة تريونات* للدفاع عن حكيمهم السوقية

(*) التريون في الأصل هو شيخ أو ممثل العشيرة .

يتتخبونهم بأنفسهم . أحدهم يونيوس بروتوس ،
والآخر مسينيوس فيلوتس ، ولا ادري من - إي والله !
لكان على الطغام أن يطيحوا بأعالي المدينة
قبل ان ينالوا ذلك مني . على مرّ الزمن
لسوف ينالون من ذوي السلطان ، ويطرحون مواضيع اكبر
يتناقش فيها الثائرون

مينيوس : غريب .

مارسيوس : عني بكم ، الى بيوتكم، ايتها المِرَق !

يدخل رسول ، على عجل

رسول : اين كايوس مارسيوس ؟

مارسيوس : هنا . ما الأمر ؟

رسول : الخبر يا سيدي هو أن الفولسين قد شهبوا السلاح .

مارسيوس : رائع ! ستكون لنا اذن واسطة للتخلص

من الزائدين العفنين لدينا . انظروا ! كرام شيوختنا .

يدخل كوميوس ، وتيطوس لارنيوس ، وشيوخ آخرون ،

ومعهم يونيوس بروتوس وميسيونيوس فيلوتس .

شيخ أول : مارسيوس ، صحيح ما أخبرتنا به مؤخراً :

ان الفولسين قد شهبوا السلاح .

مارسيوس : لديهم قائد .

تولس اوفيدوس - سيتمتحنكم أي امتحان .

إني آثم اذ أحسده على نبله ،

ولو كنت غير ما أنا ،

لتمنيت فقط ان أكونه هو .

وفي التاريخ الروماني كان « تريبون الشعب » منذ سنة ٤٩٤ ق . م . أشبه بقاض يتتخبه الشعب لحمايته من اضطهاد
الاشراف ، وللدفاع عن حرياته ضد محاولات مجلس الشيوخ أو الفناصل الذين يتولون السلطة . وكان لشخص التريبون دائماً
حصانة خاصة . كان للشعب أولاً اثنان من التريبنات ، ثم أصبح له خمسة ، وزاد العدد في النهاية الى عشرة .

كومنيوس : لقد قاتلتها وجهاً لوجه .

مارسيوس : لو وقع العالم نصفاً على نصف ، وكان هو
من جماعتي ، لتمردت ، لأجعل حروبي عليه دون غيره . انه أسد
يزهيني أن أنصيده !

شيخ أول : اذن ، ايها الكريم مارسيوس .
وافق كومنيوس الى هذه الحروب .

كومنيوس : انه وعدك السابق .

مارسيوس : اجل يا سيدي .
وإني لمقيم عليه . تيطوس لارتيوس ،
لسوف تراني مرة أخرى أضرب وجه تولس .
ماذا ؟ هل تخشيت ؟ أتقف جانباً ؟
تيطوس : لا يا كايوس مارسيوس .
سأتكىء على عكاز ، وأقاتل بالآخر ،
قبل أن أتخلف في هذا الصراع .

مينيوس : يا أصيل النسب !

شيخ أول : رافقونا الى الكابتول ، حيث أعلم
أن صحبنا الكرام في انتظارنا .

تيطوس (لكومنيوس) : سر بنا .
(لمارسيوس) : اتبع كومنيوس : ونحن نتبعك .
فأنت الأهل للأولوية .

كومنيوس : يا مارسيوس النبيل !

شيخ أول : (للمواطنين) : الى بيوتكم ، هيا ! اذهبوا !

مارسيوس : لا ، بل فليتبعونا .
لدى الفولسيين قمح كثير . خذوا هذه الجرذان اليهم
لتقضم أهراءهم . ايها المتمردون الموقرون ،

إن شجاعتكم لتتبدى على خير ما تكون* ! أرجوكم ،
اتبعونا .

المواطنون يتفرقون انسلالاً . يخرجون جميعاً .
فيما عدا بروتوس وسينيوس .

سـنـيـوس : هل رأيت إنساناً اشد كبرياء من مارسيوس هذا ؟
بـرـوتـس : لا مثيل له .

سـنـيـوس : عندما انتخبنا تريونات للشعب -
بروتوس : رأيت الى شفته وعينيهِ ؟

سـنـيـوس : وتعليقاته الجارحة . ؟
بروتوس : اذا انفعَل ، فإنه لن يتورع عن الهزء حتى من الآلهة .
سـنـيـوس : والسخرية حتى من حشمة القمر**
بـرـوتـس : ألا التهمته الحروب الوشيكة ! لقد زادت
كبرياؤه عن حدها لشدّة بأسه وشجاعته .

سـنـيـوس : رجل طبيعته كهذه ،
اذ يزهو بالنجاح يحقر
الظلّ الذي يطؤه عند الظهيرة . ولكن يدهشني
ان وقاحته تتحمّل ان يكون مأموراً
لكومنيوس .

بـرـوتـس : الشهرة التي يهدف اليها -
والتي يتحلّى بها منذ زمن - لن يجد لها
حفاظاً ، أو تحقيقاً ، خيراً من
مرتبة دون الأولى : فكل مسعى خائب
سيُجعل تقصيراً من القائد ، وإن أبلى
أقصى ما يستطيعه انسان من بلاء : ولسوف يصيح
ذو الرأي الطائش عندها عن مارسيوس :

(*) يقوها ساحراً اذ يراهم يأخذون في الانسلاال من المكان .

(++) المقصود ، بالطبع ، ربة القمر ديانا ، آلهة العفاف .

« يا ليتة هو الذي تولى الأمر ! »

سسنيوس : وفضلاً عن ذلك ، اذا سارت الأمور على ما يرام
فإن الرأي العام ، وهو المتعلق بمارسيوس ،
سيجرد كوميوس من جداراته .

بروتوس : والنتيجة ،

فإن نصف أمجاد كوميوس ستُنسب الى مارسيوس ،
وإن لم يكسبها مارسيوس : وكل اخطاء كوميوس
ستكون امجاداً لمارسيوس ، وإن لم يكن
في الواقع أهلاً لأي منها .

سسنيوس : لنذهب ونسمع .

كيف يُنجز الأمر ، وعلى أي نحو ،
فيما عدا شذوذ طبعه ، سيتصرف
في المهمة الحاضرة .

بروتوس : لنذهب .

يخرجان .

المشهد الثاني

في كريولي . مجلس الشيوخ

يدخل تولى أوفديوس وبعض الشيوخ

شيخ أول : رأيك اذن ، يا أوفديوس .
هو أن أهل روما مطلعون على مشاوراتنا
ويعلمون بما نخطط ؟

أوفديوس : ألا ترى ذلك معي ؟

هل فكّرنا بشيء في هذه الدولة
واستطعنا دفعه الى فعل مجسّد قبل أن تفلح
روما باحباطه ؟ لم تمض أربعة أيام
منذ أن سمعت من هناك . هذه هي الكلمات :
أعتقد أن الرسالة معي ، هنا . أجل ، ها هي :
(يقرأ) « لقد جنّدوا جيشاً ، ولكن لا يُعلم
أهو ضد الشرق أم الغرب . القحط عظيم .
والناس في عصيان ، ويشاع
أن كومنيوس ، ومارسيوس عدوك العتيد -
وروما تكرهه أشد مما تكرهك -
وتيطوس لارتيوس ، وهو من أشدّ الرومان بأساً وشجاعة ،
هؤلاء الثلاثة يقودون هذا الجيش
حيثما كانت وجهته - والأرجح أنها انتم .

فتدبروا الأمر .

شيخ أول : جيشنا في الميدان .
ما أثرنا قط شكًا إلا وكانت روما مستعدة
لجوابنا .

أوفديوس : لا ، ولم تستخفوا
التكتم بخططكم الكبرى حتى
تكشف عن نفسها مجرة ، ويظهر أنها
تبدت لروما وهي قيد التخطيط ! والكشف
سيقصر بنا عن غايتنا - التي كانت
اخضاع عدة مدن وروما لم تكذب
بعد تعلم أننا قد تحركنا !

شيخ ثانٍ : يا أوفديوس النبيل ،
تولّ القيادة ، وأسرع الى كنائلك .
اتركنا وحدنا لحراسة كريبولي .
فاذا حاصرونا ، تعال بجيشك
للنجدة ، ولكنني أظن انك ستجد
أنهم لم يتهيأوا لنا .

أوفديوس : آ ، لا تشكّ في ذلك .
اني اتحدث عن يقين ، بل ، وأكثر من ذلك ،
فإن بعض فصائل جيشهم طفقت تتقدم -
وبانجأها فقط . اني اترككم يا سادة .
اذا اتفق والتقينا أنا وكايوس مارسيسوس
فقد اقسمنا لنستمرّن في الضراب
الى أن يكلّ واحد منا .

الجميع : أعانتك الآلهة !

أوفديوس : وأبقتكم في سلام !
شيخ أول : مع السلامة .

شيخ ثانٍ : مع السلامة .
الجميع : وداعاً ، مع السلامة .
(يخرجون)

المشهد الثالث

روما. غرفة في منزل مارسيسوس

تدخل فولومنيا وفرجيليا. تجلسان على مقعدين منخفضين، وتخططان.

فولومنيا : أرجوك يا ابنتي ، غني . أو عبّري عن نفسك بمرح أشد . لو كان ابني زوجي ، لأبُحْتُ لنفسي أن أفرح بغياب يكسب فيه الشرف أكثر مما أفرح بعناقه في فراش يظهر فيه غاية الحب . يوم كان طريقي العود ، ووليد رحي الوحيد ، ويوم جعل الصبا مع الحسن ينتزع الانظار كلها نحوه ، يوم لم تكن أم ، لوراح الملوك يترجّونها نهاراً بطوله ، لتبقيه ساعة واحدة لا تراه فيها ، اذ حسبت كيف أن الشرف يليق بفتى كهذا ، وأنه لم يكن ليفضل صورة معلقة على جدار ان هو لم تحرّكه دواعي الشهرة ، كان يسرني أن ادّعه يطلب الخطر حيثما قد يجد الشهرة ، لحرب عاتية أرسلته ، عاد منها مكّلل الجبين بالسنديان . قسماً يا ابنتي ما وثبتُ فرحاً عندما سمعت أول مرة أنه مولود فحل أكثر ما فعلت عندما رأيته أول مرة يثبت أنه رجل فحل .

فرجيليا : ولكن لو مات في الواقعة ، يا سيدتي ؟ .

فولومنيا : لكان الكلام عن حسن بلائه هو ولدي ، ولكنك وجدت في ذلك نسلاً لي . فلا أعترف لك باخلاص : لو أن لي عشرة أبناء كلهم في حبي سواسية ، وكلهم عزيز عليّ كقرّة عينك وعيني مارسيسوس ، لأثرت أن أرى تسعة منهم يموتون بنبل من أجل وطنهم ، على واحدٍ يستغرق في شهواته دوغماً فعل .

تدخل وصيفة

وصيفة : سيدتي ، السيدة فاليريا جاءت لزيارتك .

فرجيليا : التمس اليك أن تأذني لي بالانسحاب .

فولومنيا : مستحيل !

يَحْيَلْ إِلَيَّ أَنِي اسمع هناك طبل زوجك ،
وأراه يقبض على أوفديوس من شعره
والفولسيون يتجنبونه كما يتجنب الأطفال دَبًّا ،
واني لأراه يخط بقدمه هكذا ، صائحا :
« هلموا يا جبناء ! بالخوف حبلت بكم امهاتكم ،
وان تكونوا قد وُلدتم بروما ! » جبينه الدامي
يمسحه بيد مدرعة ، وينطلق
كحصّاد التزم بحصاد الحقل كله ،
أو يفقد أجره !

فرجيليا : جبينه الدامي ! آه جويتر ، لا دم !

فولومنيا : ابعدي يا بلهاء ! انه لأليق بالرجل

من ذهب يوشى ضريحه . وان نهدي هكيوية +
اذ كانت ترضع هكتور ، ما بانا أجمل من جبهة هكتور
حين راحت تبصق الدم
علي سيف الاغريقي ، ازدراء به . قولي لفاليريا .
اننا نرحب بها .

(تخرج الوصيفة)

فرجيليا : ألا وقت السماء سيدي من أوفديوس وقسوته !

فولومنيا : بل انه سيضرب رأس اوفديوس دون ركبته ،
ويدوس على عنقه .

تدخل فاليريا مع حاجب والوصيفة

فاليريا : ايها السيدتان ، نهرا سعيدا لكما .

فولومنيا : أهلا بالسيدة الحلوة .

فرجيليا : يسرني أن أرى سيادتك ،

(+) هكيوية زوجة فريام ، ملك طروادة . والاغريقي الذي قتل ابنها البطل هكتور هو انخيل ، فكان ذلك ايذانا بسقوط طروادة .

فاليريا : كيف حالكما ، كليتيكما ؟ قعيدتا البيت ، ولا شك ! ما هذا الذي تخيطانه ؟
نقشة جميلة ، لعمرى ! كيف حال ابنك الصغير ؟ .

فرجيليا : اشكر لطفك ، بخير ، سيدتي .

فولومنيا : يفضل رؤية السيوف وسماع الطبول ، على النظر الى معلمه .

فاليريا : الابن سر أبيه ، لا ريب . قسماً انه لصي جميل جداً . يوم الأربعاء رحلت
أنظر اليه نصف ساعة باستمرار : له وجه شديد العزم . رأيته يركض في اثر
فراشة مذهبة ، وعندما أمسك بها أطلقها ، ثم راح في إثرها مرة اخرى ، ثم
عثر ووقع ، فنهض ، وامسك بها ثانية . ولست أدري ان كانت وَقَعَتْهُ قد
أغضبته أو أي شيء آخر - كيف صرَّ بأسنانه ومزَّقها ! أي والآلهة ، فتفتتها !

فولومنيا : احدى حالات أبيه !

فاليريا : ولد نبيل ، حقاً .

فرجيليا : سخطة ، يا سيدتي !

فاليريا : هيا ، ضعي عنك ابرتك . سأجعلك تلعين معي دور ربة البيت الكسول هذا
العصر .

فرجيليا : لا يا عزيزتي . لن أخرج .

فاليريا : لن تخرجي ؟

فولومنيا : بل ستخرج ، ستخرج .

فرجيليا : لا ، حقاً ، عن اذنك . لن اجتاز عتبة الباب الى ان يعود سيدي من الحروب .

فاليريا : أف ، انك لتحبين نفسك عن غير عقل . تعالي ، عليك بعبادة
السيدة الطيبة طريجة الفراش .

فرجيليا : سأدعوها بالشفاء العاجل ، وأعودها بصلواتي . ولكني لا أستطيع الذهاب
اليها .

فولومنيا : لماذا ، أرجوك ؟

فرجيليا : لا ضناً بالجهد ، ولا شحاً في الحب .

فاليريا : تريدن ان تكوني بملوب* اخرى : ولكن يقولون ان الغزل الذي غزلته كله في غياب يوليسيس انما ملأ ايثاكا بالعث ! هيا . اتمنى لو ان نسيجك لا يخلو من حس ، كاصبعك ، عسى ان تكفي عن وخزه رافة به . هيا ، ستأتين معنا .

فرجيليا : لا يا سيدتي ، اعذريني . لن آتي .

فاليريا : والله ان جئت معي ، رويت لك أنباء رائعة عن زوجك .

فرجيليا : لا أنباء بعد ، يا سيدتي .

فاليريا : وايم الحق ، لست بهازلة ، بلغت منه أنباء الليلة الماضية .

فرجيليا : أحقاً ؟

فاليريا : نعم . اني جادة . سمعت احد الشيوخ يتحدث بها . وهي : أن الفولسين حركوا جيشاً لهم ، فخرج اليه القائد كومنيوس بقسم من جيشنا الروماني : أما زوجك وتيطوس لارتيوس فقد استحكما أمام مدينتهم كريولي . وهم لا يشكون في الغلبة ، وفي جعلها حرباً وجيزة . هذا صحيح ، قسماً بشرفي . ولذا ، أرجوك ، هلمي معنا .

فرجيليا : اعذريني ، ايتها السيدة الكريمة . فاطيعك بعد ذلك في كل شيء .

فولومنيا : دعيها وشأنها . في حالتها هذه ، ستفسد علينا مرحنا .

فاليريا : حقاً ، صحيح . وداعاً اذن . تعالي ، سيدتي الحلوة . أرجوك يا فرجيليا ، وقارك هذا اخرجني عنك به ، ورافقينا .

فرجيليا : بكلمة واحدة ، سيدتي ، لا . بل يجب ألا أخرج . أرجولكما غاية المرح .

فاليريا : طيب ، وداعاً ، اذن .

(*) بملوب ، زوجة يوليسيس (أوديسيوس) ملك ايثاكا ، وبطل « الاوديسة » . في اثناء غيابه الطويل في حروب طروادة ، حاصرها المديد من الخطأب بالحاح ، فخذعتهم بقولها ان عليها ان تفرغ من صنع كفن كبير لحميمها الشيخ لارتيوس قبل ان تقرر أمرها . فكانت في النهار تعمل في صنع الكفن ، وفي الليل تنقض ما صنعت في النهار . وهكذا استطاعت ان تصد عنها خطأبها الى ان عاد زوجها .

المشهد الرابع

أمام مدينة كريولي

يدخل مارسيسوس ، وتيطوس لارتيوس ، وضباط ، وجنود ، مع طبل وأعلام

مارسيوس : ذاك خبر قادم من بعيد : أراهن على أنهم التقوا .

لارتيوس : حصاني لحصانك ، لم يلتقوا .

مارسيوس : قبلت .

لارتيوس : موافق .

يدخل رسول

مارسيوس : قل لي ، هل التقى قائدنا بالعدو ؟

رسول : كلاهما يرى الآخر . ولكنهما لم يتكلمتا بعد .

لارتيوس : اذن ، حصانك الفاخر لي .

مارسيوس : اشتره منك .

لارتيوس : كلا ، لا أبيع ولا أهب . انما أعيره لك

لنصف مئة من السنين . ادع المدينة للاستسلام .

مارسيوس : كم تبعد هذه الجيوش ؟

رسول : في حدود ميل ونصف .

مارسيوس : اذن سنسمع أبواقهم ، كما سيمعنون أبواقنا .

والآن ، يا مارس ، رجائي ، ان تلهمنا السرعة في العمل

عسى أن نسير من هنا بسيوف دامية .

لنسعف أصدقاءنا في الميدان ! هيا . اصطحب بوقك !

(يصوتون لحن المفاوضة . يدخل في أعلى الأسوار شيخان مع رجال آخرين) .

مارسيوس : تلوس أوفديوس ، هل هو ضمن اسواركم ؟

شيخ أول : كلا ، ولا من أحد يخافكم أقل منه ،

وهو أقل من القليل . (طبول من بعيد) اسمعوا ! طبولنا

تستقدم شبانا ! سنحطم أسوارنا

ولن نجعلها تنيخنا وراءها . وأبوابنا ،

وان بدت مغلقة ، انما ثبتناها بأقصاب :

ولسوف تفتح من تلقاء نفسها . (ابواق من بعيد)

اسمعوا ، من بعيد !

هناك أوفديوس . أصغوا ، أي بلاء

يليه في جيشكم المشقوق شقين !

مارسيوس : آ ، انهم عليها !

لارتيوس : فليكن في ضجيجهم ارشاد لنا . يا رجال ، عليكم بالسلام !

يدخل جيش الفولسين

مارسيوس : انهم لا يخشوننا ، ويخرجون من مدينتهم ،

ضعوا الآن تروسكم أمام قلوبكم ، وقتلوا

بقلوب أصلب من التروس . تقدم ، ايها الشجاع تيطوس .

انهم يزددون بنا أكثر عما نظن ،

واني لأنفصد عرقاً سخطاً لذلك . هلموا يا رفاقي :

ومن يتأخر منكم ، سأحسبه فولسياً

وأشعره حد سيفي !

نفير ، وقتال . يتقهقر الرومان الى خنادقهم

يعود مارسيوس ، وهو يشتم .) .

مارسيوس : ألا حلت بكم أوباء ريح الجنوب كلها ،

يا عار روما ! يا قطيعاً من - ألا كسيتم

دمامل وطواعين ، حتى ليمقتونكم

على أبعد مما يرونكم ، ويعيدي بعضكم بعضاً
ولو على بعد ميل عكس الريح ! يا أرواح أوّر
حملت أشكال الرجال ، كيف هربتم
من عبيد بوسع القروذ أن تهزمهم ، يا لبلوتو والجحيم !
كلكم من الخلف جريح ، بظهور حمراء ووجوه صفراء
من فرار وفزع ورعدة ! اصطلحوا ، وشدّدوا الهجوم
والأ ، قسماً بنيران السماء ، تركت العدو
وجعلت حروبي عليكم . هيا ، تقدموا ،
واذا ثبتتم ، هزمناهم الى زوجاتهم ،
كما هم تبعونا الى خنادقنا .

(نفير آخر ، و قتال ، يفّر الفولسيون ،
ومارسيوس على أعقابهم حتى أبواب المدينة) .

مارسيوس : ها الأبواب مفتوحة الآن ! كونوا لي خير سند :
فالقدر يفتح مصاريعها لللاحقين
لا للهاربين . انظروا اليّ ، واقتدوا بي .
(يدخل الأبواب) .

جندي أول : حماقة صرف . لا عليّ .

جندي ثانٍ : ولا عليّ . (تغلق الأبواب على مارسيوس)

جندي أول : اترون ، لقد قفصوه !

الجميع : الى حيث نهايته ، ولا ريب . (النفير مستمر) .

(يدخل ثانية تيطوس لارتيوس) .

لارتيوس : ما الذي جرى لمارسيوس ؟

الجميع : قتل يا سيدي ، ولا شك .

جندي أول : للاحق المنهزمين على أعقابهم
ومعهم داخل أبوابهم . واذا هم فجأة

يصنفون المصاريع : انه بمفرده
يجابه المدينة كلها .

لارتيوس : ما أنبلك من رجل !
انه بملء حواسه اجراً من سيفه الذي لا يحسّ ،
واذا ما انحنى سيفه ، انتصب هو ! لقد بقيت يا مارسسيوس :
ولو كان ثمة جوهرة حرّة بقدر حجمك ،
لما كانت ثمينة مثلك . لقد كنت جندياً
كالذي تمناه كاتو* - شرساً رهيباً
بالضراب فقط . ولكن بنظراتك الجهمة
وقصف صوتك كالرعد
جعلت اعداءك يرجفون ، كأثما الدنيا
محمومة ترتعد .
(يدخل مارسسيوس ، دامياً ، يهاجمه العدو) .

جندي أول : انظر ، سيدي !
لارتيوس : آه ، انه مارسسيوس !
لننقذه ، او نصمد مثله .
(يقاتلون ، ويقتحمون المدينة بأجمعهم) .

(*) الاشارة الى كاتو الاكبر (٢٣٤ - ١٤٩ ق . م .)

انما هي جزء من تعليق المؤرخ بلوتارك على كريبولانس
كجندي . وقد نسبها شكسبير الى احد معاصري القائد ، رغم
ان كريبولانس سبق كاتو بحوالي ٢٥٠ سنة !

المشهد الخامس

شارع في كريولي

يدخل بعض رجال الرومان، ومعهم غنائم

روماني أول : هذا سأحمله الى روما .

روماني ثانٍ : وهذه سأحملها أنا .

روماني ثالث : اللعنة عليها ! حسبتها فضة !

(النكير ما زال مستمراً من بعيد)

(يدخل مارسيسوس وتيطوس لارتيوس، مع بواق)

مارسيسوس : انظر الى هؤلاء المتسكعين الذين يثمنون شرفهم

بدرهم مصدوع ! وسائد ، ملاعق رصاص ،

حدائد ذات الفلس ، قمصان يدفنها الجلادون*

مع مرتديها ، هذا ما يتخاطف هؤلاء العبيد المناكيد

وهم لما يفرغوا من القتال . تباً لهم !

اسمع ! يا لضوضاء ذلك القائد ! علينا به !

هناك أوفديوس ، محطّ الحقد من قلبي ،

يخرق صحبنا الرومان خرقاً : اذن ، ايها الباسل تيطوس ،

(X) من العادات القديمة ان للجلاد الحق في اخذ ملابس ضحيته .

خذ الاعداد المناسبة لاحتلال المدينة ،
فبما أسرع أنا ، مع ذوي النخوة والعزيمة ،
الى نجدة كومنيوس .

لارتيوس : سيدي الكريم ، انك تدمي .
وما قمت به كان أعنف من أن تعود
الى جولة أخرى من القتال .

مارسيوس : اياك ومدحي ، يا سيدي .
فما حيت بعد بما فعلت . وداعاً .
ان الدم الذي ينقط مني دواء لي ،
لا خطر علي . هكذا سأظهر
لأوفديوس ، وأقاتل .

لارتيوس : أرجو أن تقع ربة الدهر الحسنة
في غرامك ، وأن تضلل عنك
مفاتيح الرائعة سيوف خصومك !
كان التوفيقُ رفيقك ، أيها الشجاع !

مارسيوس : ورفيقك أيضاً ،
كالذين تخصهم ربة الدهر بالعلاء ! وداعاً .

لارتيوس : ما اكرمك يا مارسيسوس !
(للبق) اذهب ، وانفخ في بوقك في ساحة السوق
وادع هناك حكام المدينة
حيث سنعلن لهم عن قصدنا . هيا !

المشهد السادس

قرب معسكر كومنيوس

يدخل كومنيوس، كمن يتقهقر، ومعه جنود.

كومنيوس : خذوا نفساً ، ايها الصحب . أحسنتم قتالاً .
لقد فعلنا كما يليق بالرومان : لا حمقى في الصمود
ولا جبناً في التقهقر . واذا كنا نضرب
سمعنا على تقطع ما نحمله هبات الرياح
من هجمات أصدقائنا . آلهة روما ،
وجّهي حظوظهم بما نتمنى لأنفسنا ،
عسى أن يلتقي كلا جيشينا بجباه باسمه
فيقدّما لك ضحايا الشكر والامتنان !

يدخل رسول

ما وراءك ؟

رسول : خرج أهالي كريولي
والتحموا مع لارتيوس ومارسيوس في معركة :
وقد رأيت جماعتنا يردّون الى خنادقهم ،
ثم جثت اليكم

كومنيوس : لئن تقل صدقاً
فإن قولك ليس بخير . منذ متى كان ذلك ؟

رسول : منذ ساعة ونيف ، يا مولاي .

كومنيوس : ولكن المسافة أقل من ميل . وقد سمعنا طبولهم منذ هنيهات .
كيف استطعت ان تقضي ساعة في قطع ميل واحد
وتتأخر هكذا بأنائك ؟

رسول : جواسيس الفولسين

طاردوني ، فاضطرت الى الدوران
ثلاثة أميال أو أربعة . وإلا لكنت يا سيدي
أتيتكم ببلاغي منذ نصف ساعة .

كومنيوس : من هناك ،

ذاك الذي يبدو كأنه مسلوخ الجلد ؟ يا للآلة !
ان له طابع مارسيوس .
ولقد رأيته كذلك من قبل .

مارسيوس (من الداخل) : هل جئت متأخراً ؟

كومنيوس : لا يميّز الراعي الرعد من الدف
خيراً عما أميز صوت لسان مارسيوس
من كل انسان أصغر منه .

يدخل مارسيوس

مارسيوس : هل جئت متأخراً ؟

كومنيوس : نعم ، ان لم نحىء بدم الآخرين
بل مسربلاً بدمك أنت .

مارسيوس : آ ، دعني أعانقك

بذراعين سليميتين كيوم تزوجت ،
وبقلب مرح كما كان يومها !

كومنيوس : يا زهرة المحاربين ،

كيف الأمر مع نيطوس لارتيوس ؟

مارسيوس : كما هو مع رجل تشغله المراسيم :
حاكماً البعض بالاعدام ، والبعض بالنفي ،
قابلاً فدية هذا ، راحاً ذاك ، مهدداً الآخر ،
قابضاً على كريولي باسم روما
كمن يمسك بسلوقي يصبص في الرباط
ليطلقه كما يشاء .

كومنيوس : اين ذلك العبد الذي
أخبرني بأنهم هزموكم الى خنادقكم ؟
أين هو ؟ نادوا به هنا .

مارسيوس : دعه وشأنه .
لقد أنباك بالحقيقة : لولا نبلاؤنا ،
فإن المراتب العامة - قاتلتهم الآلهة ! - يريدون تريونات ! -
ما تجنب فأر هراً كما راوغوا
أوغاداً أحط منهم .
كومنيوس : ولكن كيف تغلبت ؟

مارسيوس : ايكفي الوقت للرواية ؟ لا أظن .
اين العدو ؟ هل أنتم سادة الميدان ؟
وإلا ، فقيم توقفكم الى ان تكونوا السادة ؟

كومنيوس : مارسيوس ،
قاتلنا تحت الأذى ،
فتراجعنا لتحقيق غايتنا .

مارسيوس : أين يقع جيشهم ؟ أتعلم على أي جانب
وضعوا رجال ثقتهم ؟

كومنيوس : تخميني يا مارسيوس
هو أن فيالق المقدمة لديهم من رجال الانتيات ،
وهم الأهل لأعظم ثقتهم . يقودهم أوفديوس ،

القلب من أملهم .

مارسيوس : أتوسل اليك

بكل المعارك التي قاتلنا فيها ،
بالدم الذي سكبناه معاً ، بالأيمان
التي أقسمناها لنبقى صديقين ، أن تضعني
وجهاً لوجه أمام أوفديوس ورجاله الانتيات ،
وأن لا ترجىء ما نحن فيه ، بل
ثملاً الجور سيوفاً مرفوعة وسهاماً
ونؤكد فوزنا هذه الساعة بعينها .

كومنيوس : لكنت أتمنى

لو انك تقتاد الى حمام رخي
وتمسح بالزيوت والبلاسم ، ولكنني لا اجرا أبداً
أن أرد لك طلباً : خذ من تشاء ممن
هم أفضل الرجال في عونك على فعلك

مارسيوس : ما هم الا أولئك الذين هم

أشدّهم ارادة . ان كان بينكم -
ومن الأثم أن أشك في ذلك - من يهوى هذا الطلاء
الذي ترونني مضرجاً به ، أو يخشى
سوء الذكر اكثر مما يخشى على شخصه ،
أو يحسب ان الموت الجريء خير من الحياة الفاسدة ،
فليتفضل وحده ، او كل من يشعر مثله ،
ويشهر سيفه ، تعبيراً عن ميله ،
ويتبع مارسيوس .

(يصرخون جميعاً ويشهرون سيوفهم ، ويرفعونه

على اكتافهم ، ويقذفون بقبعاتهم عالياً)

أأنا وحدي ؟ أتجعلون سيفاً مني ؟

إذا لم تكن المظاهر هذه خارجية وحسب ، أي منكم
لا يعدل أربعة فولسين معاً ؟ ما من أحد فيكم

إلا وبوسعه أن يحمل بوجه أوفديوس العظيم
ترساً صلباً كترسه . ولكن لا بد لي ان اختار عدداً معيناً .
مع شكري لكم جميعاً . أما البقية فلسوف تتحمل العبء في قتال آخر
كما تقتضي الظروف . (لكومينوس) أرجوك ، سر ،
وأربعة سينفذون أوامري ويتتقون
أنسب الرجال .

كومينوس : سيروا ، ايها الصاحب .
برهنوا صحة ما أبديتم ، وأعدكم
بتقاسم الغنائم كلها معنا^x
(مخرجون)

(*) كومينوس أقل مثالية من كريولانس ، ويعرف جنوده خيراً منه ، ولذا يعدهم بالغنائم حتاً لهم !

المشهد السابع

عند أبواب مدينة كريولي

تيطوس لارتوريوس ، بعد أن أقام الحرس على كريولي ، يسير مع الطبول والأبواق نحو كومنيوس وكايوس مارسيوس ، ويدخل و يرفقته ملازم ، وجنود آخرون ودليل .

لارتوريوس : هكذا ، أقيموا الحراسة على الأبواب . نفذوا واجباتكم
كما قرّرتها . وإذا ارسلت اليكم ، ابعثوا
بكتائب المئة تلك لنجدتنا . أما البقية فتكفي
لسيطرة وجيزة . اذا خسرنا المعركة
فلن نستطيع الحفاظ على المدينة .
ملازم : لا نخش على عنايتنا ، يا سيدي .
لارتوريوس : اذهب ، واغلق أبوابك دوننا .
تعال يا دليل . قُدنا الى معسكر الرومان .
(يخرجون)

المشهد الثامن

ميدان المعركة بين معسكري الرومان والبوليسيين
نفير كما في المعركة . يدخل من طرفين متقابلين
مارسيوس ووفديوس* .

مارسيوس : لن أقاتل أحداً الآن . لأنني أكرهك
أكثر من ناقض لوعده .

وفديوس : كرهنا متماثل .

ليس في إفريقيا ثعبان أمقه

أكثر من شهرتك المحسودة . ثبت قدمك !

مارسيوس : من يتزحزح أولاً فليمت عبداً للآخر ،
ولتسخطه الآلهة بعد ذلك !

وفديوس : أنا هربت يا مارسيوس ،

صح في اثري صيحة الصياد بالأرنب ، .

مارسيوس : في هذه الساعات الثلاث ، يا تلوس ،

قاتلتُ بمفردي وراء أسوار مدينتك كربولي ،

(x) يذكرنا هذا المشهد بمنازلات الأبطال في الملاحم ، كالألياذة والأوديسة وغيرها . ففي تصوير الملاحم للمعارك نجد أن الصفة الطاغية هي الصفة الشخصية : أي أن جبروت القواد أنفسهم هو الذي يستغلب صراع المعسكرين المتقاتلين .

وفعلت بها ما شئت : هذا الذي تراني
مبرقعاً به ليس دمي . إن تبغ انتقاماً .
شدّ عزمك لأقصى مداه .

أوفديوس : حتى لو كنت هكتور^x بعينه ،
غضب أسلافك الذين تفاخرون بهم ،
فلن تخلص مني هنا .

(يتبارزان ، فيأتي بعض الفولسين لنجدة أوفديوس ، يستمر مارسيوس
في القتال حتى يكرههم على التقهقر .)

أوفديوس : (لرجاله) واجباً لا بسالةً تفانلون ، وما جئتموني بنجدةكم اللعينة إلا بالعار
والخجل !

(x) هكتور ، بطل طروادة الشهير . كان يروى للرومان أن يتصوروا أنهم أحفاد الطرواديين عن طريق سلفهم اينياس ورفاقه ، كما يروي الشاعر الروماني فرجيل في ملحمة « الإنيادة » .

المشهد التاسع

المعسكر الروماني

نفير قتال، ثم تقهقر. نفير آخر. ويدخل من أحد الجانبين كومنيوس مع نفر من الرومان، ومن الجانب الآخر مارسيوس، وذراعه في ضمادة.

كومنيوس : لو رويت لك ما فعلت اليوم
لما صدقت أنت فعالك . ولكنني سأرويهِ
حيث الشيوخ يمزجون الدموع بالبسمات ،
حيث كبار القوم يصغون ويهزّون الأكتاف
وفي النهاية يعجبون حيث السيدات يفزعن ،
واذ يرتعدن متلذذات ، يسمعن المزيد . حيث التريونات البلداء
(وهم مع الدماء العفنة يكرهون أمجادك)
سيقولون ، رغم ما بقلوبهم ، « نحمد الآلهة
على ان لروما جندياً كهذا ! »
غير أنك انما جثت الى لقمة من هذا الوليمة ،
وقد شبت طعماً قبلها* .
(يدخل تيطوس لارتوس مع جيشه ، عائداً من الملاحقة)

لارتوس : ايها القائد ،

(x) اي أن ما فعلته هنا (في المشهد السابق) ليس إلا لقمة واحدة اذا قيسَت بالطعام الوفير الذي تناولته بقتالك قبل ذلك في شوارع كبرولي .

هذا هو الجواد ، ونحن له السرج .
لو كنت شاهدت -

مارسيوس : أرجوكم ، كفى . ان أمي ،
وهي التي من حقها أن تمتدح نسلها ،
تحزنني عندما تثني عليّ . لقد فعلت
كما فعلتم - وهذا جل وسعي ، يحدو بي
ما حدا بكم - وطني .
ومن نفذ طيب ارادته .
فقد سبق بالفضل فعلي .

كومنيوس : لن تكون
قبراً لجدارتك . ينبغي لروما ان تعرف
قدر ابتائها : وان هي اخفت فعالك
كان اخفاؤها أسوأ من السرقة ، بل وعياً عليها .
أو إن هي فرضت الصمت على ذاك الذي
لو أعلن من ذرئ المدح وشواهقه
لبان قليلاً معتدلاً : ولذا ، أتوسل اليك -
دلالة على ما أنت ، لا جزاء على
ما فعلت - اسمعني أمام جيشي .

مارسيوس : إن بي لجروحا تتوجع
إن هي سمعت من يذكرها .

كومنيوس : واذا لم تذكر فلها تنقيح ازاء العقوق ،
وتداوي نفسها بالموت . من الخيل كلها -
وقد غنمنا الأصيل والكثير منها - ومن كل
ثمين أحرزناه في هذا الميدان وهذه المدينة ،
نعطيك العُشر ، لكيما تسلمه
قبل التوزيع العام ، باختيارك وحده .

مارسيوس : شكراً أيها القائد .
ولكن لا أقدر على جعل قلبي يرضى

بأخذ رشوة يُجَزَى بها سيفي . اني أرفضها .
وأصرّ على سهمي الذي أشارك به
كل من رأى المعركة .
(نفع متواصل في الأبواق : يصيحون جميعاً :
«مارسيوس ! مارسيوس !» ويقذفون الى
الأعلى بقبعاتهم ورماحهم .)

مارسيوس : هذه الآلات التي تدنسونها ،
ألا ليتها نصمت الى الأبد ! اذا ما الطبول والأبواق
راحت حتى في الميدان تناق ، فلتصنع القصور والمدن
كلها من ثناء زائف الوجه !^{*}
واذا ما الفولاذ غدا ناعماً نعومة حرير الطفيلي ،
فلتجعل الحرير لباساً في الحروب !
كفى ، أقول لكم ! فلأنني ما غسلت
أنفي الذي نرف ، أو لأنني قهرت رجلاً بانساً هزيراً -
وهنا الكثيرون ممن فعلوا ذاك غير ملحوظين -
رحتم تهتفون باسمي
هتافات مغالية .
كأنما يلذ لي أن تطعم صغائري
مدائح ، توابلها الأكاذيب .

كومنيوس : متواضع أنت أكثر مما ينبغي ،
وقسوتك على حسن سمعتك أشد من امتنانك
لنا نحن الذين أصدقنا وصفك . حلمك !
ان كنت حانقاً على نفسك ، ألبسناك
أصفاداً كمن ينوي إيذاء نفسه ،
فنناقشك آمين . ولهذا ، فليكن معلوماً ،
كما لنا هكذا للعالم كله ، ان كايوس مارسيوس
يلبس اكليل الحملة هذه : ورمزاً لذلك

(*) اي : لا عجب ان تقع القصور والمدن تحت تأثير النفاق اذا كان هذا النفاق ان يفعل فعله حتى في ميدان القتال .

وهبته جوادي الأصيل ، المعروف في المعسكر ،
بكل بديع ملحقاته ، وليدع منذ هذه اللحظة ،
لما حقق أمام كريولي ،
مع هتاف الجيش وتصفيقه جميعاً ،
كايوس مارسيوس كريولانس . ولتحمل
هذا اللقب بشرف أبداً !
(أبواق ، وطبول .)

الجميع : كايوس مارسيوس كريولانس !

كريولانس : سأذهب وأغتسل ،
وعندما ينظف وجهي ستدركون
هل احمرّ حياء أم لا . على كل ، اشكركم .
أريد أن امتطي جوادك ، وأن أتوج
في كل أن بقلبك الكريم
لأجل ما تستطيعه قواي .

كومنيوس : والآن ، الى خيمتنا ،
وهناك ، قبل أن نستريح ، سنكتب
الى روما عن نجاحنا ، أما أنت ، يا تيطوس لارتيوس ،
فعليك بالعودة الى كريولي : وأرسل اليها في روما
نخبة القوم ، لتفاوض معهم
لصالحهم وصالحنا .

لارتيوس : سأفعل يا مولاي .

كريولانس : بدأت الالهة تهزأ بي ! فأنا الذي الآن
رفضت أجل الهدايا الأميرية ، لديّ التماس من
مولاي القائد .

كومنيوس : اني اجيبك اليه . ما هو ؟ .

كريولانس : لقد نزلت مرة هنا ، في كريولي ،

بيت رجل فقير . ورأيتَه اليوم أسيراً .
غير أن أوفديوس كان أمام ناظرِي ،
فطغَى السخط على شفقتي . أرجوك
أن تهب مضيقي الفقير حرّيته .

كومنيوس : ما أروع التماسك !
حتى لو كان ناجر ولدي ، لأجعلنه
حرّاً طليقاً كالرياح . سرّحه يا نيطوس .

لارتيوس : مارسيوس ، ما اسمه ؟
كريولانس : نسيت ، وحقّ جويتر ،
انني متعب . اجل ، ذاكرني متعبه .
أما من خمر هنا .

كومنيوس : لنذهب الى خيمتنا ،
جعل الدم يجف على محياك ، وأن لنا
أن نُعنى به . هيا .
(يخرجون)

المشهد العاشر

نفير، يدخل تلوس أوفديوس مدعى، مع جنديين أو ثلاثة

أوفديوس : أخذوا المدينة !

جندي أول : ستُعاد بشروط حسنة .

أوفديوس : شروط !

ليتني كنت رومانياً . لأنني عاجز ،

وأنا الفولسي ، أن أكون ما أنا . . شروط !

أي شروط حسنة تلقاها أية معاهدة

في الجانب المغلوب ؟ خمس مرات ، يا مارسيوس ،

قاتلتك ، وخمس مرات غلبتني ،

وأحسب أنك غالبي حتى لو تُجابهنا

كلما أكلنا . وحقّ العناصر ،

إن أنا لقينته مرة أخرى ذقنا لذقن ،

فهو لي ، أو أنا له : ما عاد في منافستي

ما كان فيها يوماً من شرف . فاذا

كنت أريد سحقه بقوة تعادل قوته ،

سيفاً صادقاً لسيف ، سأباغته على نحو ما ،

فأناله غضباً أو غيلة .

جندي أول : انه الشيطان .

أوفديسوس : بل هو أجراً منه ، ولكن ينقصه دهاء . جراتي تسمت بتلوّثها به ، وسعياً به
لسوف تخرج عن طورها : فلا نوم ، ولا حرم ،
لا كونه عارياً ، أو مريضاً ، لا هيكل ولا كابيتول ،
لا صلوات الكهّان ولا آوان التضحية ،
لا ولا موانع العنف كلها ، ستحول
بعرفها أو تقاليدها البائرة دوني
ودون حقدي على مارسيسوس . حيثما وجدته ،
حتى ولو في البيت ، بحراسة أخي ، فإنني
سأحرق سنّة الضيافة ،
وأغسل يدي الشرسة بقلبه . اذهبوا الى المدينة ،
أطلعوا على كيفية احتلالها ، ومن هم الذين
يؤخذون رهائن لروما .

جندي أول : ألن تذهب أنت ؟

أوفديسوس : هناك من ينتظري في غابة السرو . أرجوكم -
انها جنوبيّ مطاحن المدينة - ايتوني هناك بكلمة تحبرني
كيف تسير الدنيا ، لكي أغذ السير
على خطوها .

جندي أول : سنفعل يا مولاي .

(يخرجون)

الفصل الثاني

المشهد الأول

روما : مكان عام

يدخل منيوس مع اثنين من تريونات الشعب،

سسينوس وبروتوس

منيوس : يقول لي العراف إن انباء ستبلغنا هذه الليلة .

بروتوس : طيبة أم سيئة ؟

منيوس : ليست كما يروجوه الشعب ، لأنهم لا يحبون مارسيوس .

سسينوس : ان الطبيعة تلقن الحيوانات معرفة أصدقائها .

منيوس : ألا قل لي ، ما الذي يجبه الذئب ؟

سسينوس : الحمل .

منيوس : نعم ، ليلتهمه ، كما تمنى العوام الجائعة التهام مارسيوس .

بروتوس : انه حمل وأيما الحق ، ويشغو كالدب !

منيوس : انه دب وإيم الحق ، ويعيش كالحمل . كلاكما رجل شيخ ، اجيباني على شيء أسألكما اياه .

كلاهما : تفضل .

منيوس : ما السيئة التي تشخ في مارسيوس ، وليست سخية فيكما ؟

بروتوس : لا تشخ فيه سيئة واحدة ، بل هو مخزون بالسيئات كلها .

سسينيوس : سيّا الكبرياء .

بروتوس : وتفوّقه على الجميع بالتبحّج .

مئنيوس : غريب ! أتعرفان حكم الناس عليكما هنا في المدينة .- أعني حكم أصحاب الميمنة* ؟

بروتوس : وما حكمهم ؟

مئنيوس : لأنكما تحدثان عن الكبرياء الآن - ألن تغضب ؟

كلاهما : لا بأس ، يا سيدي ، لا بأس .

مئنيوس : لن يهمني كثيراً ، لأن لصّ سائحة صغيرة يسلبكما قدراً كبيراً من الصبر .
ليطلق كلاكما النفس على سجيتهما ، ويغضب على هواه ، على الأقل ، قد
تجعلان من الغضب هوى ومتعة . أتلومان مارسيوس على كبريائه ؟

بروتوس : لسنا وحدنا في ذلك ، يا سيدي .

مئنيوس : أعرف أن ليس بوسعكما أن تفعلّا إلّا القليل وحدكما . المساعدون كثير ، وإلّا
لكانت أفعالكما حقاً ضئيلة . ومن ليست له إلا قدرات الأطفال ، لا يستطيع
الكثير وحده . تحدثان عن الكبرياء : ليت الواحد منكما يستطيع ان يدير
عينيه نحو مؤخر عنقه* . ويتفحص نفسه الكريمة من الداخل ! آه يا ليت !
بروتوس : ثم ماذا ؟ .

مئنيوس : لاكتشفتما زوجاً من قضاة نكدين ، عنيفين ، متكبرين ، تافهين - اسمهم
الآخر « بلهاء » ، كأي قضاة في روما !

سسينيوس : مئنيوس ، انت أيضاً تعرفك الناس حق المعرفة .

مئنيوس : يعرفني الناس بأنني شريف قلب المزاج ، يجب كأساً من النبيذ الحار لا تخففه
قطرة من نهر التيبر . ويزعمون أن بي شيئاً من منقصة هي أنني أحابي صاحب
الشكوى الأولى ، وأسرع شائطاً كهود الثقبان لأنفه الدوافع ، واني أمرؤ
يسامر ردف الليل أكثر من جبين الصباح : ما أظنه أقوله ، واستنفذ حقدي

(x) يقصد الاشراف ، الذين يعتبرهم اليد اليمنى للدولة .

(x) كانت هناك حكاية تقول ان كل انسان لديه كيس معلق امامه يضع فيه اخطاء جيرانه ، وآخر معلق خلفه ، يخفي فيه اخطائه .

بأنفاسي . وحين المي اثنين من ساسة الدولة مثلكما - وما بوسعي أن أدعوا يا
منكما ليكورغس* - اذا لم يطب شرايكما لحلقي ، قُطبت وجهي عليه . وليس
لي ان اقول ان سيادتكما قد احسنتا التعبير عن الأمر ، عندما أجد أن الحمار
مركب في معظم الفاظكما . وان كان عليّ ان ارضى بتحمل الذين يقولون انكما
رجلان جاذان محترمان ، ولكنهم يكذبون اشنع الكذب ان هم قالوا لأي منكما
ان له وجهاً حسناً . فإن كنتما تريان ذلك في خريطة عالمي الأصغر**، فهل
يستتبع ذلك أنني أنا ايضاً معروف حق المعرفة ؟ وما الذي تستخلصه ابصاركما
العمشاء من هذا الخلق ، ان كنت أنا ايضاً معروفاً حق المعرفة ؟ .

بروتس : على رسلك يا سيدي ، نحن نعرفك معرفة جيدة .

مونيوس : انما لا تعرفاني ، ولا تعرفان نفسيكما ، ولا أي شيء آخر . وما تطمحان
لرؤية الأناس المساكين يرفعون القبعات لكما ويشنون الركب . انكما
لستهلكان ضحى جيلاً مفيداً بسماع قضية تقام بين بائعة برتقال***وبائع
حنفيات ، ثم تؤجلان مناقشة العشرين فلساً الى جلسة يوم ثانٍ****! وعندما
تنظران في أمر ما بين فريق وفريق ، اذا قرصكما المصغ ، تلوت الملامح منكما
كالمثلين الصامتين ، ورفعتما البيرق الدامي ضد الصبر الجميل ، وانما
تصيحان في طلب قعادة ، وتصرفان المرافعة وهي بعد نازفة ، ونظركما فيها قد
زاد في تعقيدها، وما تحققانه من صلح في القضية هو أن تدعوا كلا
الفريقين نذلاً ، وكفى! يا لكما من زوج غريب!

بروتس : على مهلك ! فالكل يعلم انك منكت بارع للوليمة ، خير منك شيخاً ضرورياً
للكابتول .

مونيوس : لكان حتى كهأنا يتهازون لو أنهم التقوا افراداً مضحكين مثلكما . ان أبدعنا
نطقاً ، فإن ما نقولانه لا يساوي هز اللحية منكما ، واللحية منكما غير جذيرة
بكرم الدفن كحشو في وسادة رقاع خرق ، أو بأن تلحد أخيراً في بردة
حار . ومع ذلك فلا بد لكما من القول ان مارسيوس متكبر ، وهو الذي

(*) مشرع اسارطي مشهور .

(xx) خريطة العالم الأصغر هي الوجه ، الذي يعتبر دليلاً على خلق الانسان بكامله .

(xxx) كان المعروف في عهد شكسبير ان البرتقال يبيعه النساء في شوارع لندن .

(xxxx) في واقع الأمر ، لم يكن للتربونات الصلاحيات المعزوة اليهم هنا .

يساوي ، على أبخس تقدير ، اسلافكما كلهم منذ ديوكاليون* ، ولو ان بعضاً من خيرتهم ربما كانوا جلادين أباً عن جد . طاب مسؤكما : فالزيد من حديثكما سيعدو دماغي ، وانتما الراعيان لوحوش الرعاع . سأتهجراً في الاستئذان منكما .

(يقف بروتس ومسنيوس جانباً)

تدخل فولومنيا ، فرجيليا ، وفاليريا
أهلاً بالسيدات الحسان النيبلات ! ولو كانت ربة القمر من أهل الأرض لما كانت انبل منك . أين تبعن عيونكن بهذه العجلة ؟
فولومنيا : مننيوس الكريم ! ان ابني مارسيوس يقترب . ألا حباً بجونوا، لنذهب !

مننيوس : ها ! مارسيوس يعود الى الوطن !

فولومنيا : أجل ، وبأعظم التوفيق والاستحسان .

مننيوس : خذ قبعتي ، يا جوبيتر ، وحداً لك ! ها !
مارسيوس يعود الى الوطن !

فرجيليا وفاليريا : نعم ، صحيح .

فولومنيا : انظر ، هذه رسالة منه : وهناك اخرى للدولة ، واخرى لزوجته . وأعتقد ان في البيت رسالة لك أيضاً .

مننيوس : لأجعلن بيتي يترنح نشوة الليلة : رسالة لي !

فرجيليا : نعم ، أوكد أن هناك رسالة لك . رأيتهما .

مننيوس : رسالة لي ! انها تعطيني ضماناً بسبع سنوات من العافية ، سأزدرى فيها بالطبيب : ولن تكون أنجع وصفات جالينوس** إلا دجلاً في دجل ، بل لن تكون ، قياساً على هذا الدواء ، افضل فعلاً من بولة حصان ! الم يجرح ؟ كان من دأبه ان يعود الى البيت جريحاً .

فرجيليا : لا ، لا ، لا .

(X) قصة ديوكاليون في الأساطير الاغريقية توازي قصة نوح والطوفان .

(XX) أبو الطب الاغريقي . وقد عاش في القرن الثاني ب . م . ، مما يجعل الاشارة اليه هنا من الأغلاط الزمنية التي لم يتورع عنها شكمير أحياناً .

فولومنيا : آ ، لقد جرح ، وإني لأحمد الآلهة على ذلك .

مننيوس : وأنا كذلك ، على ألا تكون الجروح كثيرة ، أيجلب لنا نصراً في جيبه ؟ ان الجروح لتليق به .

فولومنيا : بل على جيبته . مننيوس ، هذه المرة الثالثة يعود فيها الى الوطن باكليل السنديان .

مننيوس : هل أحسن تأديب أوفديوس ؟

فولومنيا : كتب تيطوس لارتيوس يقول انها تقاتلا ، غير أن أوفديوس هرب .

مننيوس : وفي أحسن وقت ، ما من شك . ولوبقي أمامه ، لما أردت ان اكون مكانه ولو أعطيت خزائن كريولي كلها وما فيها من ذهب . هل أعلم مجلس الشيوخ بهذا ؟

فولومنيا : لنذهب أيتها الكريمات . أجل ، أجل ، لقد تسلم مجلس الشيوخ من القائد كتباً جعل فيها الفضل كله في هذه الحرب لولدي : لقد فاق في ما صنع كل افعاله السابقة ضعفين .

فاليريا : في الواقع ، تروى عنه أشياء مدهشة .

مننيوس : مدهشة ! طبعاً ، وكلها كسبها عن حق .

فرجاليا : جعلتها الآلهة صدقاً كلها !

فولومنيا : صدقاً ؟ بس ، بس !

مننيوس : صدقاً ! أقسم أنها كلها صادقة . أين جرح ؟ (ملتفتاً الى التريونين) كان الله في العون يا سادة ! مارسيوس في طريقه الى الوطن ، ولديه المزيد من سبب للكبرياء ، اين جرح ؟

فولومنيا : في كتفه وفي ذراعه اليسرى ، وسوف تكون ثمة ندوب كبيرة يريها للشعب عندما يرشح نفسه للمقام الذي هو أهل له . يوم ردّ طاركوين على عقبه نالته جروح سبعة في جسمه .

مننيوس : جرح في العنق ، واثنان في الفخذ - انا أعرف تسعة جروح .

فولومنيا : وقبل هذه الحملة كان يحمل خمسة وعشرين جرحاً .

مننيوس : وهي الآن سبعة وعشرون : وكل منها قبر لعدو . (صياح وأبواق من الداخل)
اسمعوا ! الأبواق !

فولومنيا : هذه طلائع مارسسيوس : أمامه يحمل الصخب ،
وراءه يخلف الدموع :
والموت ذلك الروح المظلم ، يقيم في ساعده المفتول ،
فاذا رفع الساعد ، هوى - ويموت عندها الرجال .
(صدح أبواق . يدخل القائد كومنيوس وتيطوس لارتيوس ،
وبينهما كريولانس متوجاً باكليل سنديان ،
ومعهم رائدون وجنود يتقدمهم بشير .)

البشير : يا أهل روما ، اعلموا ان مارسسيوس وحيداً ، فريداً قاتل
داخل أبواب كريولي ، وهناك ، مع الشهرة
غنم اسماً يضاف الى كايوس مارسسيوس -
يضاف اليهما شرفاً ، كريولانس .
مرحباً بك في روما ، يا ذائع الصيت كريولانس (صدح أبواق)
الجميع : مرحباً بك في روما ، يا ذائع الصيت كريولانس !
كريولانس : كفاني هذا . ان صدري يضيق به .

ارجوكم الآن ، كفى !

كومنيوس : انظر ، سيدي ، والدتك !

كريولانس : أنا أعلم أنك ضرعت الى الآلهة كلها
من أجل فلاحي . (يركع)

فولومنيا : انهض يا جنديّ الطيب .

يا مارسسيوس الكريم ، يا كايوس الفاضل ،
واسمك الجديد الذي احرزته بشرف الفعال ،
ما هو ؟ - أكريولانس أدعوك ؟ -

ولكن ، آه ، زوجتك !

كريولانس : أيا ساكتي الرقيقة ، سلاماً !

هل كنت ستضحكن لو أنني في نعش عدت اليك ،
وانت تبكين لرؤيتي مظفراً ؟ آه يا عزيزتي ،
عيون كهذه ، إنما تحملها الأرامل في كريولي
والأمهات الثكالي .

مونيوس : ألا فلتتوجك الآلهة !

كريولانس : أما زلت حياً ؟ (لفاليريا) سيدتي الحلوة ،
اعذريني !

فولومنيا : لا أدري أين التفت . أهلاً بك عائداً .
وأهلاً بك أيها القائد ، أهلاً بكم جميعاً .

مونيوس : مئة ألف أهلاً بك ! بوسعي ان ابكي ،
وبوسعي أن أضحك . فرح أنا ، وحزين . أهلاً !
ولتحلّ اللعنة في الحبة من قلب
كل من لا يفرح لرؤيتك ! انكم ثلاثة
على روما أن تُجنّ بهم . ولكن ، وحق الرجال ،
لدينا هنا في الوطن تفاحات حوامض عناق
ترفض أن تطعم بذوقكم . ولكن ، مرحباً بالمحاربين ،
الشوك ندعوه شوكة ،
وأخطاء الحمقى حماقة .

كومنيوس : محق ، دائماً !

كريولانس : مونيوس دائماً ، وأبداً !

البشير : افتحوا الطريق هناك ، وتحركوا !

كريولانس : (لفولومنيا وفرجيليا) : يدك ، ويدك أنت .
قبل أن أظلل رأسي في بيتنا ،
لا بد لي من زيارة الأشراف والكرام ،
الذين لم يصلوني بالتحيات وحسب ،
بل بأعجاد قشبية أيضاً .

فولومنيا : لقد عشت

لأرى أمنيائي تتحقق

وكل ما بنيت في خيالي . ولكن

ثمة امرأة واحداً ناقصاً ، لا أشك

في أن مدينتنا روما ستمحك أياه .

كربولانس : اعلمي يا أماء

انني أؤثر ان اكون لهم خادماً على طريقي

على أن أحكمهم على طريقتهم .

كومنيوس : هلموا ، الى الكابتول !

(أبواق ، يخرجون على نحو مراسيمي ، كما دخلوا

يتقدم بروتس وسينيوس).

بروتس : الألسنة كلها تلهج به ، والأبصار العشواء

تلبس النظارات* لتراه . هذه المربية الثرثرة

تدع طفلها يحنق بكاء

وهي تهذر عنه . وصبيّة المطبخ تشدّ

أثمن خامها حول عنقها الأسخم ،

وتتسلق الجدران لتعاينه : فالمصاطب والدكات والنوافذ

تغصّ ، والسقائف تزدهم ، والحواف تُمْتَطِي

بوجوه متباينة لا تتفق إلا على

لهفتها لرؤيته . وكهنة يندر ظهورهم

يندسون في حشود الشعب لاهئين

ليدركوا موضعاً لهم بين السوق . وسيداتنا المخمرات

يسلمن صراع الأبيض والوردي الذي

في خدودهن البديعة التزويق لاستلاب فاجر

من قبلات « فيبس^{xx} » اللاهية . يا للجلبة !

كأنما الاله الذي يقناده ، مهما يكن ،

(*) يقار أن اخترع النظارات راهب ايطالي عاش في القرن الثالث عشر .

(xx) اي الشمس ، وهي في الانكليزية مذكور ، تقابلها « فيبي » أي القمر ، كمؤنث .

قد انسلَّ بمكر الى قواه البشرية
واهياً إياه وقفة رائعة .

سسينيوس : واذا هو ، فجأة ، تنصل !

بروتس : وعندها ، فإن لوظيفتنا
أن يأخذها النوم طيلة ولايته .

سسينيوس : لا يستطيع أن يحمل اعجاده باعتدال
من حيث ينبغي له أن يبدأ وينتهي ،
ولسوف يضئ هذه التي حازها .

بروتس : وفي ذلك بعض العزاء .

سسينيوس : ثق أن العوام الذين تمثلهم
سينسون ، بحقدهم القديم ،
أعجاده الجديدة هذه لأوهى سبب .
ولا ريب عندي في انه سيهوى لهم هذا السبب ،
كما لا ريب عندي في كبريائه التي تدفعه الى ذلك .

بروتس : لقد سمعته يقسم قائلاً
انه لو رُشَّح للقنصلية ، فإنه سيرفض
الظهور في ساحة السوق ،
أو ارتداء ثوب التواضع الخلق^{*}
كما أنه ، وهو يعرض جروحه على الناس ،
كما جرى العرف ، لن يلتمس أنفاسهم التنتة .

سسينيوس : صحيح .

بروتس : هذه كانت كلمته . فهو يفضل البقاء بدونها
على نيلها ، إلا برجاء من الاشراف اليه
ورغبة من النبلاء .

(*) يقول بلوتارك : كان على القائد الروماني اذا رُشَّح للقنصلية ان يظهر في « الفورام » (متدى المدينة) لابساً الـ « توغا » فقط ، دون قميص تحتها ، ليسهل عليه عرض آثار جراحه على الناس . وقد التبست كلمة « فقط » على مترجم بلوتارك (من الفرنسية الى الانكليزية) فترجمها الى « سقط » ، وحوَّرها شكسبير الى خلق !

سسنوس : لا أتمنى شيئاً أفضل
من أن يتشَبَّتَ بمشيته تلك ،
وأن ينفذها .

بروتس : سيفعل ، على الأرجح .

سسنوس : عندئذٍ ستكون ، كمشيئتنا الثابتة ،
دماره المؤكد .

بروتس : إما ذلك ، أو

دمارَ صلاحياتنا . وتحقيقاً للغاية
علينا أن نوحى للشعب بما يَكُنُّه لأفراده
دائماً من كراهية ، وأنه لو استطاع
لجعل منهم بغالاً ، وأخرس المنافحين عنهم ،
وصادر حرياتهم ، غير معتبر إياهم ،
من حيث الفعل الانساني أو القدرة ،
أكثر روحاً أو صلاحية للعالم
من الجمال في الحرب ، التي لا تُعْلَفُ
إلاَّ لحمل الأعباء والضرب الموجه
ان هي ناءت بها .

سسنوس : اذا أوحينا بهذا ، كما تقول ،
في وقت يكون فيه صلفه الشاهق
مثيراً للناس - ولن نُعْدم وقتاً كهذا
إذا استُفْزِرَ ، واستفزازه سهل
كاطلاق الكلاب على الماشية - فإنه سيكون ناراً منه
تلهب هشيمهم ، ولهيهم
سوف يحجبه الى الأبد .

يدخل رسول

بروتس : ما وراءك ؟

رسول : انتما مطلوبان في الكابتول . انهم يفكرون

في جعل مارسيسوس قنصلاً :
ولقد رأيت البكم يتزاحمون لرؤيته
والعمي لسماعه يتكلم : الأمهات يُلقين عليه بقفازاتهن ،
والسيدات والعذارى يلقين عليه الخمار والمنديل
وهو في طريقه : النبلاء ينحنون له
كما لتمثال جوبيتر ، والعوام
يمطرونه بقبعاتهم ويرعدون بصيحاتهم .
ما شاهدت مثل ذلك قط في حياتي^x

بروتس : لنذهب الى الكابتول ،
حاملين أذاناً وعيوناً لما يجري الآن ،
وقلوباً للنتيجة التي تبغيها .
سسنيوس : هيا بنا .

(x) هنا يعزو شكسبير بعض عادات عصره الى اناس ما كانوا يعرفون عنها شيئاً . ففي عهده كان النبيل اذا أجاد الطعان في المبارزة ، ألقى عليه بعض المشاهدات خماراً أو قفازاً اعجاباً به . في هذه المسرحية نجد الكثير من مشاهد الحياة الاليزابيثية في لندن يعزوه شكسبير الى روما .

المشهد الثاني

روما . . . والكابول

يدخل موظفان لترتيب الحشايا والمقاعد

موظف أول : أسرع ، أسرع . كادوا يصلون . كم رجلاً رشح للقنصلية ؟
موظف ثانٍ : يقولون ، ثلاثة . ولكن الجميع يعتقدون ان كريولانس هو الذي سيفوز .
موظف أول : فتى رائع . ولكنه متكبر صلف ولا يجب عامة الناس .

موظف ثان : الحق ، هناك الكثير من العظماء ممن تملقوا عامة الناس ولم يحبهم قط .
وهناك الكثير ممن أحبهم عامة الناس وهم لا يعرفون السبب : اذن ، ان
كانوا يحبون لسبب يجهلونه ، فانهم لا يكرهون لسبب أوجه . ولذلك ، فإن
كريولانس اذ لا يهّمه أيحبونه أم يكرهونه انما يبدي علماً صحيحاً بطبيعتهم ،
وللنيل في لامبالاته ، فإنه يدعمهم يرون ذلك بوضوح .

موظف أول : لو لم يهّمه أيحبونه أم لا ، لراوح بغير اكتراث بين الاحسان اليهم والاساءة .
إلا أنه يطلب كرههم بحرارة أعظم عما بوسعهم أن يبوه ، ولا يقلع عن أي
فعل يكشف عن مناواته لهم . فإن يبدو طالباً حقد الناس وسخطهم ليس
بأقل سوءاً عن هذا الذي يمقته - أن يتملق الناس من اجل حبهم .

موظف ثانٍ : ان له حقاً على بلده . فصعوده لم يكن بالدرجات السهلة تلك التي يرقاها
رجل يلاين الشعب ويلاطفه ويرفع له القبة ، دون اي فعل آخر يرفع من
قدره وسمعته لدى الناس . لقد زرع أمجاده في نواظرهم ، وأفعاله في

قلوبهم ، فإذا أمسكوا اللسان عن الاعتراف بذلك ، كان ذلك ضرباً من العقوق والأيذاء . وإذا نطق أحد بغير ذلك ، كان نطقه حقداً يكذب نفسه بنفسه ، ولا يجني سوى اللوم والتوبيخ من كل أذن تسمعه .

موظف أول : كفى كلاماً عنه . انه نعم الرجل . هيا . لقد وصلوا .

(صلى أبواق . يدخل شرطة يفسحون الطريق أمام القنصل كومنيوس ، ومنينيوس ، وكريولانس ، وشيوخ ، وسسنيوس ، وبروتوس الشيوخ يحتلون اماكنهم ، والتريونات يحتلون اماكنهم على حدة . أما كريولانس فيبقى واقفاً) .

منينيوس : الآن وقد فرغنا من الفوليين و بانتظار مقدم تيطوس لارتيوس ، بقي علينا - كنقطة رئيسية في هذا الاجتماع اللاحق - ان نجزيه على خدمته النبيلة بعد أن أجاد الدفع على بلده . ولذا ، تفضلوا أيها الشيوخ المحترمون الأجلاء ، واطلبوا الى القنصل الحالي والقائد الأخير في انتصاراتنا الموفقة ، أن يروي لنا بعضاً من روائع ما صنع كايوس مارسيسوس كريولانس ، هذا الذي اجتمعنا هنا لنشكره ونكرمه بأعجاد شبيهة به .

شيخ أول : تكلم ، ايها الفاضل كومنيوس . لا تدع عنك شاردة خوف الاطالة ، واجعلنا نعتقد ان دولتنا هي القاصرة عن الجزاء لا نحن في تطويعها لذلك . (الى التريونات) يا سادة الشعب ، أعبرونا ، لطفاً ، آذانكم ، ومن ثم حُسن نفوذكم عند جماهير العوام لكي يوافقوا على ما يجري هنا .

سسينيوس : لقد دُعينا

للمصادقة على معاهدة سارة ، وقلوبنا
تميل الى الرفع من شأن
موضوع اجتماعنا وتكريمه .

بروتس : ولسوف نجد بركة في فعل ذلك
ان هو جعل في خاطره قيمة للشعب
أعزّ مما فعل حتى الآن .

مئنيوس : ذلك خارج عن الصدد .
ليتك بقيت صامتاً . أتود
ان تسمع كومنيوس يتكلم ؟

بروتس : بكل طيبة خاطر .
غير أن تحذيري كان وارداً
اكثر من توبيخك .

مئنيوس : انه يحب شعبك .
ولكن لا تجبره على مشاركته الفراش .
كومنيوس الفاضل ، تكلم . (كريولانس يبدي رغبة في الخروج)
أرجوك ، لا تبرح مكانك .

شيخ أول : اجلس ، يا كريولانس ، ولا تتعجل لسماع
ما فعلته بنبل وشرف .

كريولانس : أرجو العفو من سيادتكم
اني لأوثر أن تندمل جراحني من جديد
على أن أسمع كيف أصيبت بها .

بروتس : سيدي ، أمل
أن كلماتي لم تغضبك .

كريولانس : لا يا سيدي . ولكن لظالما وجدت
أنني أصمد للضربات ، وأفتر من الكلمات .
أنت لم تنافق ، ولذا لم تؤلم . ولكن شعبك -

انني أحبه بقدر ما يزن .

مننيوس : أرجوك الآن ، اجلس .

كريولانس : اني لأوثر أن يشج أحدهم رأسي في الشمس
عندما يصدق نفي القتال ، على أن اجلس خاملاً
لأسمع صغائري تُضخّم كالأعاجيب .
(يخرج)

مننيوس : يا سادة الشعب ،

بزرتكم التكاثره هذه ، كيف له أن يتملقها -
وهي ألف لكل واحدة صالحة - وها أنتم ترون
انه يفضل المجازفة بأعضائه كلها طلباً للشرف
على المجازفة باحدى أذنيه في سماع من يمدحه ؟ تفضل ، كومنيوس .

كومنيوس : ان الصوت ليعوزني : وفعال كريولانس

لا يجوز النطق بها بوهن . يقال
إن الشجاعة رأس الفضائل ،

وأشدّها رفعاً من قدر صاحبها : اذا كانت كذلك
فإن الرجل الذي اتحدث عنه ليس في الدنيا
من بمفرده يوازنه . ففي السادسة عشرة من عمره ،
يوم هاجم طاركوين* روما ، قاتل قتلاً
تعدى صولة الآخرين . ودكتاتورنا** يومئذٍ
(واني لأشير اليه ممتدحاً) رآه يقاتل ،

وهو بذقنه المرداء يسوق

الشوارب الكبيرة أمامه . لقد وقف مناضلاً

عند رأس روما الجريجة ، وعلى مرأى من القنصل

أردى ثلاثة قتل : وطاركوين نفسه جابه

وأسقطه على ركبته . ففي ضراب ذلك اليوم

(*) « طاركوين المتكبر » آخر ملوك روما ، وقد طرد منها عام ٥١٠ ق . م .

(xx) كان الدكتاتور ، في روما القديمة ، يعين في اوقات الكروب والازمات ويعطى صلاحيات الدولة بكاملها لمدة ستة اشهر .

حين كان له أن يمثل دور المرأة في المشهد*
أثبت أنه خير الرجال في الميدان ، وثواباً له
كللوا جيئته بالسنديان . واذا تحول هكذا
من طور التلمذة الى طور الرجال ، غدا كبيراً كالبحر .
وفي وطيس سبع عشرة معركة بعد ذلك
انتزع الأكاليل من كل سيف . وفي هذه الأخيرة
أمام كريولي وداخلها ، دعوني اقول لكم :
لن استطيع وفاءه حق . لقد اوقف الهاربين ،
وبقدوته النادرة جعل الجبان
يحول الرعب الى لعب . وكالأعشاب
ازاء سفينة مشرعة ، هكذا دان له الرجال
ووقعوا تحت مقدمه : سيفه خاتم الموت ،
حيثما طبع ، قتل . من وجهه حتى القدم
كان دماً كله ، وكل حركة منه تأتي
على ايقاع من صرخات المنايا . وحده اقتحم
الأبواب القاتلة الى المدينة ، وصبغها
بمصير لا يرد . وخرج دوغما عون ،
ويمدد فجائي هوى
كالنجم على كريولي : وكان الكل له .
واذا قعقة الوغى ، بعد قليل ، تحرق
سمعه المهيأ ، وفي الحال انعشت روحه الواثبة
ما كان في الجسد قد تعب ،
وهرع الى المعركة ، حيث راح
يركض دامياً فوق أعمار الرجال ، كأنها
غنيمة لا تنتهي . وإلى أن أعلننا
أننا أرباب الميدان والمدينة ، ما وقف لحظة .
ليريح صدره باللهاث .

منتيوس : يا للرجل الكريم !

(x) في عهد شكسبير كان الاولاد هم الذين يمثلون ادوار النساء في المسرح

شيخ أول : لن يكون إلا على قدره ما فصلنا له
من شرف ومجد .

كومنيوس : غنائمنا ركلها برجليه ،
ونظر الى النفائس كأنها
قمامة الدنيا : انه يشتهي ما هو أقل
من عطاء المُلِق بالذات ، ويُجزى
أفعاله بحض فعلها ، ويقنع
من وقته بقضائه وحسب .

منتيوس : نبيل هو عن حق !
اطلبوا حضوره .

شيخ أول : نادوا كريولانس .
موظف : لقد حضر .

(يدخل كريولانس ثانية)

منتيوس : كريولانس ، انه ليسر مجلس الشيوخ
ان يعينك قنصلاً .

كريولانس : إني مدين لهم أبداً
بحياتي وخدماتي .

منتيوس : اذن لم يبق إلا
أن تخاطب الشعب .

كريولانس : اتوسل اليكم
ان تدعوني اتخطى هذه العادة . لأنني لا أقدر
أن ألبس الثوب ، وأقف عارياً ، وأترجاهم ،
من أجل جراحي ، ان يهبوني أصواتهم . أرجو
ان تأذنوا لي بالآأفعل ذلك .

سسينيوس : مولاي ، ان الشعب
يصرّ على أصواته ، ولن يتنازل عن

قيراط من شعائره .

متنيوس : لا تثرهم .

أرجوك ، لائم بينك وبين العادة .
وكما فعل الذين سبقوك ، خذ لنفسك
منصبك بمراسيمك المقررة .

كريولانس : انه دور

سأحجل في تمثيله ، بحسن
تجريد الشعب منه .

بروتس (لسنسيوس) : اسمعت ذلك ؟

كريولانس : أن أتبحّج لهم بأنني كذا فعلت ، وكذا ،
وأعرض عليهم الندوب التي لا تؤلم وَيُحْمَلُ بي اخفاؤها ،
كأنني انما حصّلتها أجراً
لأنفاسهم فقط !

متنيوس : لا تصرّ على الرفض .

يا تريبونات الشعب ، نطلب اليكم أن توصوا
الشعب بما عزمنا عليه . ولندعُ جميعاً
لقنصلنا النبيل بالفرح والمجد .

الشيوخ : الفرّح والمجد لكريولانس !

(صرح أبواق . يخرج الجميع ، إلا بروتس وسنسيوس)

بروتس : أترى كيف ينوي معاملة الشعب ؟

سنسيوس : لنأمل أن الشعب سيدرك نيته . سيأسل الناس
وكأنه يحتقر ما يطلب اليهم أن يمنحوه .

بروتس : هيّا ، لنخبرهم

بما قد جرى هنا : أنا أعرف أنهم
ينتظروننا في ساحة السوق .

(يخرجان)

المشهد الثالث

روما. الفورم (متنّى المدينة)

(يدخل عدد من المواطنين)

مواطن أول : مرة نهائية أقول : اذا طلب الينا أصواتنا ، يجب ألا نمنسكها عنه .

مواطن ثان : بل قد نمنسكها عنه يا سيدي ، ان شئنا .

مواطن ثالث : نحن لدينا الصلاحية لفعل ذلك ، ولكنها صلاحية لا صلاحية لدينا لتنفيذها : لأنه اذا عرض علينا جروحه ، وروى لنا أفعاله ، علينا أن نضع ألسنتنا في تلك الجروح ، وننطق عنها . أي ، اذا روى لنا أفعاله النبيلة ، وجب علينا أن نروي له قبولنا النبيل بها . نكران الجميل أمر وحشي ، والجمهور اذا كان ناكراً للجميل ، جعل من نفسه وحشاً ، ولما كنا نحن افراداً منه ، جعلنا من أنفسنا افراداً وحشين .

مواطن أول : وبأقلّ عون منا ، لن يعتبرنا هو خيراً من ذلك . فيوم نمرّدنا من أجل القمح ، لم يتردد في تسميتنا بالحشد العديد الرؤوس

مواطن ثالث : ما اكثر الذين يسموننا كذلك ! لا لأن بعض رؤوسنا كستنائي ، وبعضها أسود ، وبعضها أشقر ، وبعضها أصلع ، بل لأن عقولنا هي بهذه الألوان المختلفة . والحق يقال ، لو أن عقولنا خرجت من جمجمة واحدة ، لتطايرت شرقاً وغرباً ، وشمالاً وجنوباً ، ولكان اتفاقها على طريق واحدة مستقيمة هو السير في اتجاهات البوصلة كلها معاً .

مواطن ثان : اتعتقد ذلك ؟ في أي اتجاه ترى ان عقلي سيطيّر ؟

مواطن ثالث : لا ، عقلك انت لن يخرج بسرعة عقل رجل آخر : فهو محصور بقوة في رأس كالحطبة . ولكنه لو وجد حرته ، لطار جنوباً ، لا شك .

مواطن ثانٍ : ولم جنوباً ؟ .

مواطن ثالث : ليضلّ في ضباب كثيف ، وهناك اذ تذبذب ثلاثة ارباعه بالانداء العفنة ، سيعود الربع الرابع والضمير يقرّعه ، ليعينك في الحصول على زوجة .

مواطن ثانٍ : انت لن تتخلّى عن الاعيك . اكمل ، اكمل .

مواطن ثالث : هل عزمتم جميعاً على اعطاء اصواتكم ؟ ولكن ، ما هم .
الأكثرية هي التي تقرّر . وأنا أقول ، لو أنه يمنح الى الشعب ،
لما رأينا رجلاً أجدر منه .

(يدخل كريولانس مرتدياً ثوب التواضع ، ومعه منتيوس)

ها هو قادم ، وفي ثوب التواضع . لاحظوا تصرّفه . يجب ألا تبقى جميعاً
سوية ، بل علينا أن نمر به حيث يقف ، واحداً واحداً ، اثنين اثنين ،
ثلاثة ثلاثة . وعليه أن يسأل كلّ بمفرده ، فكل منا له الشرف باعطائه
صوته بلسانه . ولذا ، اتبعوني ، أرشدكم كيف نمرّون به .

الجميع : رضينا ، رضينا

(يخرج المواطنون)

منتيوس : مولاي ، لست على حق . ألم تر
أن أكرم رجالنا قد فعلوا ذلك ؟

كريولانس : وماذا ينبغي عليّ أن أقول ؟

« أرجوك ، سيدي - » عليها اللعنة ! لا استطيع

أن أسير لسانى بهذه السرعة . . « سيدي ، انظر جراحي !

أصبت بها في خدمة وطني ، عندما

راح بعض اخوانك يعيطون ويفرّون

حتى من ضجيج طبولنا . »

منتيوس : يا للآلهة !

يجب الا تقول ذلك ! يجب ان ترغب اليهم
في التأمل فيك .

كريولانس : التأمل في ! قاتلتهم الالهة !
ليتهم ينسوني ، كالفضائل
التي يعجز كهائننا عن تلقينهم .

مانيوس : ستفسد كل شيء
سأتركك . أرجوك ، خاطبهم ، أرجوك ،
على نحو معقول .

كريولانس : مرهم بغسل وجوههم
وتنظيف أسنانهم . (يخرج مانيوس)
والآن هنا زوج قادم .

(يدخل مواطنان)

أنت تعلم ، يا سيدي ، سبب وقوفي هنا .
مواطن أول : نعم يا سيدي . اخبرنا ما الذي دفعك اليه .
كريولانس : جدارتي أنا .

مواطن ثانٍ : جدارتك أنت !
كريولانس : أجل ، لا رغبتني أنا .
مواطن أول : كيف ! لا رغبتك أنت !

كريولانس : لا يا سيدي ، فأنا ما رغبت يوماً في ازعاج الفقراء بالكدية .
مواطن أول : عليك ان تحسب ، ان وهبتك شيئاً ، فاننا نأمل
في مكسب منك .

كريولانس : حسناً ، أرجوكم ، ما ثمن القنصلية عندكم ؟ .
مواطن أول : ثمنها هو أن تطلبها بلطف .

كريولانس : بلطف ! سيدي ، أرجوك ، أعطني أياها : عندي
جروح أريها لك ، وهي لك في خلوة بيني وبينك . صوتك
الكريم ، سيدي . ما رأيك ؟

مواطن ثانٍ : انه لك ، سيدي الفاضل .

كريولانس : صفقة ، يا سيدي ! لقد استجديت صوتين ، ونلت
منكما الحسنة . وداعاً .

مواطن أول : شيء غريب .

مواطن ثانٍ : لو طلب ثانية - ولكن ، ما هم .

بمخرجان ، ويدخل مواطنان آخران

كريولانس : أرجوكم ، ان يتناغم انتخابي قنصلاً مع صوتيكما ،
فإنني أرتدي الثوب المألوف .

مواطن ثالث : لقد استحققت من وطنك بنيل ، ولم تستحق بنيل .

كريولانس : لغزك ؟

مواطن ثالث : كنت سوطاً على أعدائه ، وعصا على أصدقائه ، انت ما أحبيت يوماً
عامّة الناس .

كريولانس : لكان الأخرى ان يزيد ذاك من فضلي لديك ، لأنني ما كنت يوماً عامياً في
حبي . سيدي ، سأتملق صديقي الحبيب ، الشعب ، لعلني اكسب مزيداً
من القدر لديه . انها حالة يعتبرها الناس كريمة ، وبما أن حكمة الخيار
عندهم تفضل قبّعتي على قلبي ، سأمارس الإشارة بهزة الرأس ، وأرفع
قبعتي لهم بزيف متقن . أي أنني يا سيدي سأزيّف سحر رجل شعبي ،
وأوزعه بسخاء على الراغبين . ولذا ، أتوسل اليكما أن تقبلاني قنصلاً .

مواطن رابع : نرجو أن نجد فيك صديقاً لنا ، ولذلك نعطيك صوتينا من القلب .

مواطن ثالث : لقد أصبت بجروح كثيرة من أجل بلدك .

كريولانس : لن أختم علمك باطلاعك عليها . سأستفيد كثيراً من صوتيكما ، ولن
أزعجكما بعد .

كلا المواطنين : أفرحتك الآلهة ، يا سيدي !

(بمخرجان)

كريولانس : ما أعذب هذه الأصوات !

خير لنا أن نموت ، أن نتصور جوعاً ،
 من أن نتمنى الجزاء الذي نستحقه أصلاً .
 فيم وقوفي هنا في ردائي الذئبي* هذا
 لأسأل كل زيد وعمرو يمران بي
 شهادة لا حاجة لي بها ؟ العرف يدعوني لذلك .
 ان يكن علينا أن ننقذ في كل شيء ما نصّه العرف
 فإن الغبار سيظل غير مجلّو عن كل قديم ،
 ويتراكم الخطأ جبلاً عالياً
 يمنع الحقيقة عن ابراز وجهها . فعوضاً عن الهزء بها ،
 ليكن الشرف والمنصب الأسمى
 من سهم من يفعل ذلك . لقد كدت أفرغ :
 تحملت شقاً واحداً ، فلاقم بالثاني .

(يدخل ثلاثة مواطنين آخرين)

هنا أصوات أخرى قادمة .
 أصواتكم . لأصواتكم قاتلت .
 سهرت لأصواتكم . لأصواتكم أحمل
 من الجروح عشرين وثيقاً ، ومن المعارك
 شاهدت وسمعت قرابة العشرين . لأصواتكم
 فعلت أموراً كثيرة ، صغيرة وكبيرة . أصواتكم ...
 في الواقع ، أود أن اكون قنصلاً .

مواطن خامس : لقد أحسن الصنع ، ولا يمكن أن يحرم صوت أي انسان شريف .
 مواطن سادس : اذن ، فليصبح قنصلاً . ولتفرحه الآلهة ، وتجعل
 منه صديقاً طيباً للشعب !

الجميع : آمين ، آمين . حرسك الله ، أيها القنصل النبيل !

(يخرجون)

(*) هذه الكلمة في الأصل تأويلات عدة ، لعل أنسها هو ان الرداء (الـ « توغا » الرومانية) كان يصنع من صوف ويصغ
 بالأيض ، فكان لابسه هنا يقول انه « ذئب في ثوب حمل » . لانه يشعر كالذئب تجاه الشعب ، ولكن عليه ان يخفي ذلك عنه
 وراء رداء من صوف ، فهو اذن رداء « ذئبي » ايضاً .

كريولانس : يا للأصوات الفاضلة !
(يدخل ثانية مننيوس ومعه بروتس وسسنيوس)
مننيوس : لقد أديت واجبك المحدد ، والتريونات
يمنحونك اصوات الشعب . بقي الآن
أن تسرع الى اللقاء بالشيخ
مرتدياً الثوب الرسمي .

كريولانس : هل انتهى هذا ؟
سسنيوس : عادة الطلب قمت بها .
الشعب راض بك ، وقد دعي
الى الاجتماع قريباً تثبيتاً لك .
كريولانس : أين ؟ أفي مجلس الشيخ ؟
سسنيوس : أجل ، كريولانس .

كريولانس : هل لي أن أغير هذه الملابس ؟
سسنيوس : نعم ، سيدي .
كريولانس : سأفعل ذلك فوراً . وعندما أعرف نفسي ثانية
سأقيم شطر مجلس الشيخ
مننيوس : سأرافقك . أتأتيان ؟

بروتس : سنتظر هنا مجيء الشعب .
سسنيوس : وداعاً .

(يخرج كريولانس ومننيوس)
لقد نالها الآن ، ومن نظراته ، أغلب الظن
انها دافئة على قلبه .
بروتس : بقلب متعجرف لبس الثوب المهلهل .
هل ستصرف الشعب ؟

(يدخل المواطنون مرة اخرى)

سسينوس : أهلاً ، سادتي ! هل انتخبتم هذا الرجل ؟

مواطن أول : أعطينا أصواتنا يا سيدي .

بروتس : نسال الآلهة أن يكون أهلاً لحبكم .

مواطن ثانٍ : آمين . ولكن الذي لحظته ، أنا العبد الفقير .

هو أنه سخر منا عندما توّسل في طلب أصواتنا .

مواطن ثالث : بل انه هزىء بنا هُزْءاً صريحاً .

مواطن أول : لا ، إنما تلك طريقته في الكلام . لم يسخر منا .

مواطن ثان : ما من أحد ، باستثنائك أنت ، ألا ويقول

انه عاملنا بازدراء ، كان عليه ان يرينا

شارات استحقاقه - الجروح التي تكبدها من أجل بلده .

سسينوس : ولكنه فعل ذلك ، أنا واثق .

المواطنون جميعاً : لا ، لا . لم يرها انسان .

مواطن ثالث : قال ان به جروحاً يمكنه ان يريها على حدة

واذ لَوَّح بقبعته بازدراء ،

قال : « أود أن اكون قنصلاً . والعادة القديمة

لا تسمح لي بذلك ، إلا إذا نلت أصواتكم .

هاتوا أصواتكم اذن . » ولما أعطيناها ،

قال : « اشكر لكم أصواتكم . شكراً .

ما أعذب أصواتكم . والآن وقد تركتم لي أصواتكم ،

ليس لي شأن بكم بعد » . اليس هذه سخريه ؟

سسينوس : لماذا كنتم جهلة فلم تلاحظوها ،

وان لحظتموها ، فقيم الألفة الصيبانية هذه

بمنحه أصواتكم ؟

بروتس : أما كان بوسعكم أن تحبروه -

كما لقناكم - انه يوم كان لا سلطان له ،

بل كان خادماً صغيراً للدولة ،

كان عدوكم ، يتحدث دوماً ضدَّ
حرياتكم وحقوقكم السياسية في
كيان الأمة ، وأنكم ، اذ بلغ الآن
منزلة الحول والطول في الدولة ،
ان هو ظلَّ بحقده
عدو الجماهير اللدود ، قد تغدو أصواتكم
لعنات عليكم ؟ كان عليكم ان تقولوا
ان مآتيه الكبرى تستحق
كلَّ ما رشح نفسه له ، فخليق بطبعه الكريم اذن
أن يُعنى في افكاره بكم لقاء أصواتكم ،
فيبدلَ حقدهُ عليكم بحبِّ
ويصبحَ لكم السيد الصديق .

سسينوس : لو تكلمتم هكذا ،
كما أشرنا عليكم مسبقاً ، لامتحنتم روحيته
وجربتم نزعته ، ولانزعتم منه
إما وعده الكريم الذي لكم
أن تُلزموه به اذا ما الحاجة اقتضت ،
أو لاستفززتم طبعه الخرون
الذي لا يتحملُ بيسرٍ أي شرط
يقيده بشيء . وهكذا ، اذ تثيرون سخطه
كان عليكم ان تنتهزوا فرصة غضبه
فتمروا به دون انتخابه .

بروتس : أما لاحظتم
انه بادركم بالطلب بازدراء صريح
وهو بحاجة الى حبكم : أو تحسبون
ان ازدراءه لن يؤذيكُم
يوم تكون له القدرة على السحق ؟ ألم يكن لأجسادكم
قلب فيما بينكم ؟ أم أن ألسنتكم لا تصيح
إلاً ضد حكم العقل والرشاد ؟

سسينوس : هل رفضتم سائلاً من قبل ؟ والآن رحتم
عبيون ذاك الذي لم يسأل (بل سخر منكم)
الستكم التي ترجأها الآخرون ؟

مواطن ثالث : لم يتم تثبيته بعد ، ولنا
أن نمسك عنه .

مواطن ثانٍ : ولسوف نمسك عنه .
سأحصل على خمسة صوت بذلك .

مواطن أول : وأنا على ضعف الخمسة ، وعلى مثيلاتها لدعمها .

بروتس : اذهبوا في الحال ، واخبروا هؤلاء الأصدقاء
أنهم اختاروا قنصلًا سيجردهم
من حرياتهم ، ولن يدع لهم صوتاً أكثر من
صوت الكلاب التي تضرب لنباحها
بقدر ما هي تحفظ للنباح .

سسينوس : دعوهم يجتمعون .
وبادراك اسلم من ذي قبل ، انقضوا جميعاً
انتخابكم الجهول . أكذوا على كبريائه ،
وكرهه القديم لكم . ثم ، لا تنسوا
بأي احتقار ارتدي ثوب التواضع ،
وكيف انه في التماسه ازدرى بكم ، ولكن حبيكم ،
اذ تأملتم في خدماته ، حجب عنكم ،
ادراك تصرفه الراهن ،
الذي صاغه شامتاً ، مستهتراً ،
وفق ما يكنه لكم من حقد عنيد .

بروتس : ضعوا اللوم علينا ، نحن تربيوناتكم ، بأننا أصررنا
رغم العوائق كلها أن تلقوا
بأصواتكم عليه .

سسينوس : قولوا انكم انتخبتموه

بوصية منا اكثر منكم انصياعاً
لتحقيق عواطفكم ، وأن عقولكم
أنشغلت بما يجب عليكم
لا بما يحسن بكم أن تفعلوه ، فجعلتكم ضد ميلكم
تتخبونه قنصلاً . ضعوا اللوم علينا .

بروتس : أجل ، لا ترأفوا بنا . قولوا اننا رحنا نحاضركم ،
كيف انه في شبابه جعل يخدم وطنه ،
وكيف انه استمر بذلك ، وحدثناكم عن شرف نسبه -
فهو من آل مارسيسوس الكرام ، الذين منهم انحدر
انكوس مارسيسوس ، ابن ابنة نوما* ،
الذي كان ملكاً هنا بعد هوستيليوس العظيم .
ومنهم ايضاً انحدر بوبليوس وكوينتوس ،
اللذان جاءا بأفضل مائناً بالأنابيب الينا**
وسنسورينوس ، الذي شرف باسمه ذلك
لأنه انتخب مرتين « سنسوراً »*** ،
كان سلفه العظيم .

سسنيسوس : رجل نسبه كهذا ،
ومحققاً بشخصه ايضاً أطيّب الفعال
لنيل علو المكانة ، أوصيناكم
به خيراً . غير أنكم ،
اذ وزنتم مسلكه الراهن ازاء ماضيه
وجدتم انه عدوكم اللدود ، فرجعتم عن
استحسانكم الفجائي .

(*) سلالة كريبولانس هذه استمدتها شكسبير من ترجمة « نورث » لبلوتارك . وهو ، كما فعل في المشهد الرابع من الفصل الاول ،
يضع عل السنة معاصري كريبولانس (حوالي ٤٩٠ ق . م .) أقوالاً قالها المؤرخ بلوتارك نفسه ، تعود الى اناس عاشوا في
الواقع بعد عجيء كريبولانس .

(**) الإشارة هنا الى الأنابيب التي بناها كوينتوس مارسيسوس بأمر من مجلس الشيوخ عام ١٤٤ ق . م . اي بعد كريبولانس بأكثر
من ثلاثة قرون .

(***) تعني « الرقيب » . وكان منصبه في الجمهورية الرومانية من أعل مناصب الدولة التي كان فيها عادة « رقيباً » اثنان .

بروتس : قولوا انكم ما كنتم لتفعلوا ذلك -
والخو في القول - لولا حننا لكم ،
وحالما تجتمعون من هم مثلكم في الرأي
توجهوا صوب الكابتول .

جميع المواطنين : سنفعل . نكاد كلنا
ندم على انتخابنا .

(يخرجون)

بروتس : عليهم بها .
خير لنا أن نجازف بهذا العصيان
من ان نترث في انتظار ما هو ولا شك أخطر .
واذا استشاط حنقاً لرفضهم ،
كما هو طبعه ، لترقب غضبه
ونستغل ما يتيح من بادرة .
سسنيس : هيا الى الكابتول .

سنكون هناك قبل وصول سيل الشعب ،
فيبدو هذا الذي دفعناهم اليه
وان يكن بعضهم منهم ، وكأنه كله من فعلهم .

(يخرجان)

الفصل الثالث

المشهد الأول

شارع في روما

أبواق، يدخل كريولانس، مننيوس، كومنيوس، تيطوس لارتيوس،
شيوخ ، سادة آخرون.

كريولانس : اذن كان تلوس اوفديوس قد حشد جيشاً جديداً ؟
لارتيوس : نعم يا مولاي . وهذا كان السبب في تسويتنا العجل .
كريولانس : اذن فالقولسيون يقفون كما من قبل :
مستعدين ، حين تدفعهم الآونة ، للقيام بغزونا من جديد .
كومنيوس : منهكون هم يا مولاي القنصل،
ولا أحسبنا سنرى راياتهم تخفق في زماننا ثانية .

كريولانس : هل رأيت أوفديوس ؟
لارتيوس : أعطيناه الأمان فجاء اليّ ، وراح يشتم
القولسيين ، لأنهم سلموا المدينة
بتلك الزرابة . وقد انسحب الى انتيوم .

كريولانس : هل تحدث عني ؟

لارتيوس : نعم يا مولاي .

كريولانس : كيف ؟ ماذا ؟

لارتيوس : كيف انه قابلك مراراً ، سيفاً ل سيف ،
وانه يكره شخصك اكثر من أي شيء
في الأرض ، وانه يرضى برهن أمواله
دوفاً للأمل باستعادتها ، لو انه
يقال عنه انه غالبك .

كريولانس : ويقيم في أنتيوم ؟

لارتيوس : في أنتيوم .

كريولانس : يا ليت لي عذراً في طلبه هناك .
كيا أقابل حقه المبالاة كلها . أهلاً وسهلاً .

(يدخل سسنيوس وبروتس)

انظر ، هذان هما من تريونات الشعب -

السنة فم العوام . انني احتقرهما

لأنهما يزهران بالسلطة .

على نحو لا يطيقه الأشراف .

سسنيوس : لا تخطُ خطوة أخرى !

كريولانس : ها ! ماذا تعني ؟

بروتس : الاستمرار خطر . مكانك !

كريولانس : ما الذي تغير ؟

مننيوس : ما الأمر ؟

كومينيوس : ألم يرض عنه الأشراف والعوام ؟

بروتس : لا يا كومينيوس .

كريولانس : هل أعطيت أصوات الأطفال ؟

شيخ أول : افتح الطريق ، أيها التريبونان ! وليذهبن

الى ساحة السوق !

بروتس : الشعب مغضب عليه .

سسينوس : قف ، وإلا وقع الكل في فوضى .

كريولانس : أهذا قطيعكم ؟

أو لا بُدَّ لهم من أصوات ، يبهونها الآن ،
وينكرون على الفور السنتهم ، ما هي وظائفكم ؟
ولكن كنتم أفواههم ، فلم لا تتحكمون بأسنانهم ؟
ألم تهيجوهم أنتم ؟

متنيوس : اهدأ ، اهدأ .

كريولانس : انه لأمر مقصود ، ويتعاضم بالتآمر -

الخذ من إرادة النبلاء .

إن تسمحوا به ، عشتم مع من لا يستطيعون أن يحكموا
ويرفضون أن يحكموا .

بروتس : لا تقل انه تآمر :

فالشعب يصرخ بأنك سخرت منه ، وانك مؤخرأ ،
عندما أعطي القمح بالمجان ، احتجاجت على ذلك ،
وقدحخت في السائلين باسم الشعب ، ودعوتهم
انتهازيين ، ومنافقين ، وأعداء لكل نبيل .

كريولانس : ولكن هذا كان معروفاً من قبل .

بروتس : ليس عندهم جميعاً .

كريولانس : وهل أخبرتهم منذ ذلك الحين ؟

بروتس : كيف ؟ أنا أخبرهم ؟

كومينيوس : يحتمل منك ان تفعل امراً كهذا .

بروتس : ولا يستبعد ان يكون خيراً مما تفعل ، مهما يكن .

كريولانس : فيم اذن كوني قنصلاً ؟ وحق تلك الغيوم ،

فلاكن عديم الجدارة مثلك ، واجعل مني

تريبونا زميلاً لك !

سسينوس : انك تبدي المزيد مما .
ينقم له الشعب : فإن شئت الذهب
الى حيث انت متوجّه ، عليك السؤال عن طريقك ،
الذي ضللت عنه ، بروح أشد دماثة .
والآ فها فيك من نبل لتكون قنصلاً
ولن تُقرن كتريون معه .

مثنيسوس : هدوءاً يا قوم !

كومنيوس : ان الشعب ليغرّر به ، ويستثار . وهذه المهاترة
لا تليق بروما ، وليس كريولانس
بمستحق عرقلة لثيمة كهذه تنصب خداعاً
في السويّ من طريق مزيتة .

كريولانس : تحدثني عن القمح !
هذا كان خطابي ، وسألقيه ثانية .

مثنيسوس : لا الآن ، لا الآن .

شيخ أول : لا في هذه الحدة ، سيدي ، الآن .

كريولانس : بل الآن ، قسماً بحياتي . أما أصدقائي الأنبل ،
فإني استميتهم العذر ،
وأما الكثرة المتقلبة الخبيثة الغبّ ،
فليتمعنوا فيّ أنا الذي لا أتملق ،
يشاهدوا فيّ أنفسهم : إني أقولها ثانية ،
إننا باسترضائهم نغذي ضد مجلس شيوخنا
زؤان العصيان ، والوقاحة ، والشغب ،
هذا الذي بأنفسنا حرثنا له ، ونثرناه ، وزرعناه ،
حين خالطناهم بنا ، نحن العدة الشريفة ،

التي لا تنقصها الفضيلة ، لا ولا القوة ، سوى
ما جادت به للمسؤولين .

مننيوس : كفى !

شيخ أول : نرجوك ، كفى كلمات .

كريولانس : كفى ؟

كما انني سكبت دمي من أجل وطني
غير متهيب سطورة خارجية ، هكذا لسوف تنح
رثائي الكلمات أو تتقطعاً بحق هؤلاء الجُرب
الذين نخشى على جلودنا عذواهم ، ولكننا سعيثا
اليها بأظلافنا .

بروتس : إنك تتحدث عن الشعب

كأنك إله يعاقب ، لا بشر
يشارط البشر ضعفهم .

سسينوس : يحمل بنا

أن نعلم الشعب بذلك .

مننيوس : بماذا ، بماذا ؟ بسخطه ؟

كريولانس : سخطي !

لو كنت صبوراً كنومة منتصف الليل
لكانت تلك ، وحق جوبيتر ، هي مشيئي !

سسينوس : انها مشيئة

عليها أن تظل سماً حيثما استقرت*
ولن تفعل سمها أبعد من ذلك .

كريولانس : « عليها أن تظل ! »

اتسمعون سلطان الاسماك الصغيرة هذا ؟

اتلحظون « نيه » الرهيب ؟

(X) اي ، في نفس صاحبها كمواطن عادي ، لا كفضيل .

كومنيوس : انها مخالفة للقانون .

كريولانس : « عليها أن تظل ! »

أيا أشرفاً كراماً ولكن بلا حكمة ،
أيا شيوخاً وقورين ولكن طائشين ، اهكذا
منحتم « هيدرة »^{xx} هنا حق اختيار موظف
لا تعوز المرأة امراً ونهياً ،
وهو بوق الأفعى وجثيرها ،
ان يقول انه سيحول سيلكم الى خندق
ويتخذ مجراكم لنفسه ؟ فإن يكن قوياً ،
أحنوا جهلكم أمامه . وأن لم يكن ، أيقظوا
لينكم الخطر من سياته . ان كنتم علماء ،
فلا تكونوا كالحمقى من الناس . وان ينقصكم العلم ،
فليجلسوا على الحشايا بقرىكم . انتم الدهماء
ان كانوا هم الشيوخ ، وما هم بأقل من ذلك
إذ تتمازج أصواتكم بأصواتهم فتجدون أن الطعم الطاعي
هو مذاقهم . انهم يختارون قاضيهم ،
واذا هو رجل كهذا ، يجابه بأمره ،
بأمره الشعبي ، جمعاً من شيوخ
لم يعبس مثلهم شيوخ في اليونان . قسماً بجويتر ،
ان هذا ليحطّن من قدر القناصل ! ويحزّ في نفسي ،
عندما تقام سلطتان معاً لا تعلو
أحدهما الأخرى ، أن أعلم ما أسرع ،
ما تقحم الفوضى نفسها في الشق بين الاثنين
لضرب الواحدة بالثانية .

كومنيوس : حسناً . هلموا الى ساحة السوق .

(xx) افعى ذات تسعة رؤوس ، كان أوسطها خالداً . وقد كان قتلها احد واجبات هرقل . كلما قطع رأساً نبت مكانه رأسان ، ولكنه أخيراً حرق الرؤوس . أما الرأس الخالد فجعله تحت صخرة كبيرة . « هيدرة » هنا كناية عن الجمهور والعديد الرؤوس .

كريولانس : ومهما يكن اولئك الذين أشاروا بتوزيع
قمح الخزينة مجاناً ، فكما حدث
مرة في اليونان -

مانيوس : كفى ، كفى ، هذا الموضوع .

كريولانس : ولو أن الشعب هناك كان يتمتع بسلطة أطلق -
أقول ، انهم غَدَّوا العصيان ، واستعجلوا
خراب الدولة .

بروتس : ما الذي يدعو الشعب الى إعطاء صوته
رجلاً يتكلم هكذا ؟

كريولانس : سأسرد أسبابي ،

وهي أفضل من أصواتهم . وانهم يعلمون ان القمح
لم يكن مكافأة منا ، لعلمهم الوثيق
انهم ما قدّموا قط خدمة لقاءه : فلما دُفِعوا الى الحرب ،
حتى عندما اصيبت الدولة في الصميم ،
رفضوا أن يعبروا أبواب المدينة ، وخدمة كهذه
لا تستحق القمح مجاناً . وإذا ما كانوا في القتال ،
لم يكن في تمرداتهم وثوراتهم ، التي ابدوا فيها
أقصى شجاعتهم ، امتداح لهم . والتهمة
التي كثيراً ما يوجهونها ضد مجلس الشيوخ ،
بغير ما سبب ، لا يمكن ان تكون وليدة
هبتنا الصريحة هذه . ماذا بعد ؟

كيف يهضم هذا الصدر المتكاثر

كرم الشيوخ ؟ فلتعبّر الأفعال

عما يمكن ان تكون كلماتهم : « لقد طلبناه نحن ،

نحن السواد الأعظم ، ومن خوفهم الحقيقي

أعطونا ما طالبنا به ! » هكذا نحن نحطّ

من شأن مناصبنا ، ونجعل الرعاع

يدعون همومنا مخاوف . وهذا مع الزمن

سيكسر أقفال مجلس الشيوخ لتدخله
الغريان وتنفّر النسر

مانيوس : حسبك يا هذا .

بروتس : حسبك ، وأكثر !

كريولانس : لا ، بل خذ المزيد .

وليكن كل ما تُقسّم الأيمان به ، من إلهي وإنساني ،
شاهداً على خاتمة قولي . هذه السلطة المزدوجة ،
حيث الشق الواحد يحتقر عن حق ، والآخر
يهين بما يتجاوز العقل ، حيث الحسب والمكانة والحكمة
لا تستطيع أن تنهي امراً إلا بنعم ولا
من العوام الجهلة ، لا بد لها أن تهمل
الحاجات الحقيقية ، وتنصاع عندئذٍ
للتفاهات القلقة : وإذا حجبت الغاية ،
لم يبق شيء يفعل عن غاية . ولذا ، أرجوكم ،
انتم الذين تزيد الفطنة لديكم على الخوف ،
وتحبون جوهر الدولة
أكثر مما تحشون تغيره ، وتؤثرون
الحياة النسيبة على الطويلة ، وتودّون
المجازفة بدواء خطر على جسم ،
موته محقق بدونه ، اجتثوا على الفور
لسان الجماهير . لا تدعوها تلحق
الحلاوة التي هي سم لها : إن عاركم
يفسد عليكم سداد الرأي . ويُفقد الدولة
تلك الوحدة التي يجب أن تتحلّى بها ،
اذ تعجز عن فعل الخير الذي تبغيه
بسبب الشر المتحكّم بها .

بروتس : لقد قال الكفاية !

سسينوس : كخائن نطق ، وعليه تحمّل التبعة

ككل خائن .

كريولانس : ألا ابتلعك الحقد ، أيها التعس !
ما نفع الشعب من هؤلاء التريونات الأغبياء ؟
فاذا اعتمد عليهم ، خذلت طاعته
مجمع الشيوخ الأكبر . وانتخابهم ما تم
إلا في ثورة ، شريعتها هي ما لا يحيد عنه ،
لا ما هو صالح وخير . وفي ساعة أفضل ،
لنقل ان ما هو صالح وخير هو الذي لا يحيد عنه ،
ونقذف بسلطتهم عرض الحائط .

بروتس : خيانة جليلة !
سسينوس : أهذا قنصل ؟ كلا !
بروتس : يا رجال الأيديل * ، علينا بكم !
(يدخل ايديل)

التي القبض عليه !
سسينوس : اذهب ، وادع الشعب . (يخرج الايديل)
وباسم الشعب فانني أنا
أعتقلك كذبي بدعة خائن ،
وعدو للمصلحة العامة . أطع ! اني أمرك ،
واتبعني لتلقى تبعتك .

كريولانس : ابتعد ، أيها التيس العجوز !
الشيوخ والآخرين : اننا نكفله .
كومنيوس : يا سيدي الشائب ، كُفَّ يَدُكَ .
كريولانس : ابتعد أيها التن ! وإلا هزرت عظامك
لتنفر من ثيابك .

(X) الشرطي هنا من نوع خاص يدعى « ايديل » . وهو ، في روما القديمة ، ضرب من حاكم يناط به واجب الاشراف على المباني والأراضي العامة ، وهذا استتبع له عدداً كبيراً من المهام الادارية والشرطية .

سسينوس : النجدة يا مواطنون !

(يدخل جمع خليط من المواطنين، مع رجال الايدبل)

مننيوس : كلا الجانبين ، احتراماً اكثر !

سسينوس : هنا، هو ذاك الذي يريد تجريدكم من كل سلطة .

بروتس : اقبضوا عليه ، يا شرطة !

مواطنون : فليسقط ! فليسقط !

شيخ وآخرون : السلاح ، السلاح ، السلاح !

(يصخب الكل حول كريولانس، صارخين).

التريونات ! الأشراف ! المواطنون ! هيا ، هيا !

سسينوس ! بروتس ! كريولانس ! يا مواطنين !

اسكتوا ، اسكتوا ! كفى ، كفوا ، اسكتوا !

مننيوس : ما الذي سيحدث ؟ انقطع نفسي ،

دنت الفوضى . لا أقوى على الكلام . انتم ،

يا تريونات الشعب ، كريولانس ، صبراً !

تكلم ، ايها الفاضل سسينوس .

سسينوس : ايها الشعب ، اسمعوني ! اسكتوا !

مواطنون : لنسمع تريونتنا ! سكوتاً ! تكلم ، تكلم .

سسينوس : انكم على وشك فقدان حرياتكم .

فمارسيوس يريد تجريدكم من كل شيء .

مارسيوس الذي عيتموه قنصلاً مؤخراً .

مننيوس : عيب ، عيب !

انك على هذا النحو لا تطفئ ، بل تُشعل .

شيخ أول : تهدم المدينة ، وتقوّض كل شيء .

سسينوس : وهل المدينة إلا الشعب ؟

مواطنون : حقاً ،

الشعب هو المدينة .

بروتس : لقد تثبتنا ، برضا الجميع ،

قضاة للشعب .

مواطنون : وما زلتم كذلك .

مئنيوس : محتمل جداً .

كومنيوس : هذه هي الطريق الى تقويض المدينة ،

وهدم السقف على الأساس ،

ودفن كل شيء ظاهر المعالم

تحت ركام وأكوام من الخرائب .

سسينيوس : عقاب هذا ، الاعدام .

بروتس : اما أن نتشيت بسلطتنا ،

أو فلنفقدها . اننا هنا ننطق بالحكم ،

نيابة عن الشعب ، الذي اختارنا

بسلطته للنيابة عنه : مارسيوس يستحق

الاعدام في الحال .

سسينيوس : ولذلك ، اعتقاله !

واحملوه الى الصخرة « الطاربية »^x ، ومنها

القوا به الى حتفه .

بروتس : ايها الايديل ، اقبض عليه !

مواطنون : سلم نفسك يا مارسسيوس !

مئنيوس : كلمة واحدة مني ، اسمعوها ،

ارجوكم ايها التريونات ، كلمة واحدة فحسب ، اسمعوها .

الايديل : صمتاً ، صمتاً !

مئنيوس : كونوا بالفعل ، كما تبدو ، اصدقاء وطنكم ،

(x) اصغر التلال السبعة واشهرها التي بنيت عليها روما . تنتهي في طرفها الجنوبي الى هاوية عميقة ، كان يلقي فيها مجرمو الدولة .

وسيروا باعتدال الى هذا الذي تريدون
تصحّحه بالعنف .

بروتس : سيدي ، هذه الأساليب الباردة
التي تبدو أشبه بأسعافات حكيمة ، شديدٌ سُمّها
إذا كان الداء عنيفاً . اعتقلوه
واحملوه الى الصخرة .

كريولانس : لا ، بل سأموت هنا (يجرد سيفه)
بينكم من رأيي أقاتل .
تعالوا ، جربوا على انفسكم ما رأيتموني أفعله .
منتيوس : اخفض ذلك السيف ! يا تريونات ، انسحبوا برهة .
بروتس : اعتقلوه !

منتيوس : أنجدوا ! انجدوا مارسيوس ،
يا ذوي المروءة . انجدوه ، شيئاً وشباباً !
مواطنون : فليسقط ، فليسقط !

(في هذا العراك ، يغلب التريونات والأيديل والشعب
على أمرهم ، ويندحرون الى خارج المسرح)
منتيوس : اذهبوا الى بيوتكم ! اذهبوا ، هيا !
وإلاّ خسرنا كل شيء .
شيخ ثانٍ : اذهبوا .

كريولانس : اصمدوا !
ان لنا من أصدقاء بقدر ما لنا من أعداء .

منتيوس : أنتتهي بالأمر الى ذلك ؟
شيخ أول : لا سمحت الآلهة !
ارجوك أيها الصديق النبيل ، اذهب الى منزلك .
اتركنا لنعالج الأمر .
منتيوس : لأن هذه قرحة بنا .

لا تستطيع شفاءها انت . اذهب ، ارجوك .

كومنيوس : هيا معنا يا سيدي .

كريولانس : يا ليتهم كانوا برابرة - فهم برابرة
وان تكن روما نسلتهم . لا رومانيون ،
فهم ليسوا كذلك حتى ولو ولدوا كالبقر
على مدخل الكابitol .

مونيوس : اذهب .

لا تحمل لسانك نبيل غضبك .
لكل يوم يوم مدين له .

كريولانس : بوسعي في ظروف منصفة
أن أقهر أربعين منهم .

مونيوس : وأنا بوسعي .

أن أتناول زوجاً من خيرة رجالهم - التريبونين ،
كومنيوس : غير أن أغليبتهم الآن تتخطى الحساب .
والرجولة تدعى حماقة ان هي تصدّت
لبنيان يتهاوى . فهلاً برحتم
قبل عودة الغوغاء ؟ ان سخطهم يحطم
كالسيول ، اذا هوت قلبت
ما كانت تحمله .

مونيوس : التمس اليك أن تذهب !

سأرى ان كان ذكائي المعهود مطلوباً
لدى الذين ليس لهم منه إلا القليل . لا بدّ من رقع
هذا الحرق بقماشة من أي لون .

كومنيوس : هيا ، تفضل معي .

(يخرج كريولانس ، وكومنيوس ، وآخرون)

شريف أول : لقد أفسد هذا الرجل مصيره .

منتيوس : طبعه أنبل من أن يصلح لهذا العالم .
فهو لن يتملّق نبتون طلباً لصولجانه ،
ولا جوبيتر طلباً لجبروت رعه . قلبه فمه :
ما يصنعه صدره ، يطلقه لسانه .
واذا ما غضب ، نسي أنه يوماً
قد سمع للموت اسماً . (صخب من الداخل)
عدنا الى الروائع !

شريف ثانٍ : ليتهم كانوا في فراشهم !
منتيوس : ليتهم كانوا في التبر ! عليهم اللعنة ،
أما كان يستطيع ان يُحسن القول لهم ؟
(يدخل ثانية بروتس وسسنيوس مع الجمع الخليلط)

سسنيوس : اين هذا الثعبان*
الذي يريد اهلاك أهل المدينة
ليكون وحده كل انسان ،

منتيوس : يا حضرات التريونات ..

سسنيوس : سيلقى به عن الصخرة « الطاريه »
بأيّد صارمة . لقد قاوم القانون ،
ولذا فإن القانون ، زراية به ، لن يتيح له محاكمة
غير قسوة سلطنة الجماهير ،
هذه التي يعتبرها هو صفراً .

مواطن أول : ولتعلمن حق العلم
ان التريونات الأفاضل هم أفواه الشعب ،
وأنتنا نحن أيديهم .

مواطنون : بالضبط ، لا بد .

منتيوس : سيدي ، سيدي ..

(x) كان المعتقد ان الثعبان الصغير يأكل الاحشاء التي ولدته . وكريولانس يصوّر هنا كمن يريد التهام المدينة التي انشأته ، ليبقى وحده فيها .

سسينيوس : سكوت !
مئنيوس : لا تصيحوا بالويل والثبور ، وطرادكم
بعد غير مؤكد .

سسينيوس : سيدي ، كيف تأقّ لك
ان ساعدت في انقاذ الطريد ؟

مئنيوس : إسمعي اتكلم :
كما أعرف مزايا القنصل ،
هكذا بوسعي أن أعين نقائصه .

سسينيوس : قنصل ؟ أي قنصل ؟
مئنيوس : القنصل كريولانس .

بروتس : أهو قنصل ؟

مواطنون : لا ، لا ، لا ، لا ، لا !

مئنيوس : اذا سمح لي التريبونان ، واذا سمحتم لي أيها الطيبون ،
أن تسمعوني ، أرجو أن أقول كلمة أو اثنتين ،
لن تسبوا لكم من الأذى
أكثر من اضاءة شيء من الوقت .

سسينيوس : تكلم بإيجاز اذن .
لأننا مصرّون على القضاء على
هذا الخائن الشعبان . فطرده من هنا
ليس إلا خطراً واحداً ، أما ابقاؤه
فهو موتنا المحقق . ولذا فقد تقرر
أن يموت هذه الليلة .

مئنيوس : لا سمحت الآلهة
لروما ، مدينتنا الشهيرة ، التي سطر
عرفانها ، جميل أبنائها الجديرين
في كتاب جوبيتر نفسه ، أن تلتهم الآن أطفالها
كأمّ شاذة !

سسنينوس : انه داء يجب ان يستأصل .

منينوس : آه ، انه عضو فيه داء ،

ميت اذا بتر ، وشفاؤه سهل .

ما الذي فعل لروما عما يستوجب الموت ؟

قسماً لكم ، اذ راح يقتل الأعداء ،

فقد من الدم اكثر مما في عروقه منه

بوزن كثير ، استنزف من اجل وطنه

أما أن ينزف وطنه ما تبقى من دمه

فإنها لنا كلنا ، من يفعلها ومن يسمح بها ،

وصمة عار الى أبد الأبدین .

سسنينوس : هذا تحريف تام .

بروتس : اعوجاج محض . فهو عندما أحب وطنه ،

كرمه الوطن .

منينوس : اذا القدم أصيبت بالأكال ،

لا تحترم خدمتها لما كانت

عليه من قبل .

بروتس : لن نسمع المزيد .

الحقوا به الى بيته ، واقتلعوه منه .

وامنعوا داءه ، لشدة عدواه ،

من السريان بعد اليوم .

منينوس : كلمة اخرى ، كلمة واحدة .

هذا الغضب النمري الأقدام ، يوم يرى

ضرر السرعة الطائشة ، سيربط وقد فات الاوان

اثقالاً رصاصية بأعقابه . سيروا وفق الأصول ،

خشية ان تثار الأحزاب - فهو محبوب -

وتنهب روما العظيمة بأيدي رومانية .

بروتس : لو كان الأمر كذلك ..

سسينوس : ما هذا الكلام ؟

ألم نذق طعام طاعته ؟

ألم يضرب شرطتنا ؟ ألم يقاومنا ؟ هيا .

مئنيوس : تأملوا هذا : لقد نشأ وترعرع في الحروب

منذ أن جرد سيفاً ، ولم يحسن تلقن

لغة الأدب . القمح والنخالة .

يلقيهما معاً دوغماً تمييز . فأذنوا لي

أن أذهب إليه ، وأتعهد بالمجيء به

الى حيث يُستجوب على نحو قانوني ،

وفي أمان ، مهما يكن العقاب .

شيخ أول : أيها التريونان الكريمان ،

هذا هو الأسلوب الانساني : أما الطريق الأخرى

فلن تكون إلا دموية ، ونهايتها

مجهولة لدى بدايتها .

سسينوس : ايها الكريم مئنيوس ،

فلتكن انت اذن كموظف الشعب .

ايها السادة ، أخفضوا سلاحكم .

بروتس : لا تذهبوا الى بيوتكم .

سسينوس : لقاءنا في ساحة السوق .

(لمئنيوس) سنتظرك هناك .

واذا لم تحضر مارسيسوس معك ، عدنا الى طريقنا الأولى .

مئنيوس : سأحضره لكم .

(للشيوخ) ارجو مرافقتكم . عليه أن يأتي ، وإلا

فإننا مقبلون على ما هو أمر .

شيخ أول : تفضل . لنذهب اليه .

(يخرجون)

المشهد الثاني

غرفة في منزل كريولانس

(يدخل كريولانس وبعض الأشراف)

كريولانس : ليهدموا كل شيء على رأسي . ليقدّموا لي
الموت على العجلة أو على أعقاب خيول هائجة ،
أو فليكمّوا عشرة تلال على الصخرة الطارئة
ليمتد الانحدار سحيقاً .
إلى ما لا يدركه البصر . ولكنني سأبقى إزاءهم هكذا أبداً .

شريف أول : فعلك هو الأنبل .

كريولانس : يدهشني أن أُمي

ما عادت تتفق معي ، وهي التي كانت
تدعوهم بالأدلاء الصوفيين* ، بالخُشب
التي تبيع وتشتري بالنقير ، تعرض حواسر الرؤوس
في كل مجتمع ، وتشاءب ، وتجمد ، وتعجب ،
إذا ما وقف احد من طبقتي
ليتكلم عن السلام أو الحرب .

(تدخل فولومنيا)

(*) أي لابسِي الصوف

عنك أتحدث :

لم تمنيت لو كنت أكثر تلطفاً ؟ اتريدين مني
أن أخون طبيعتي ؟ الأخرى ان تقولي إنني تصرف
كما هو دأبي أن أتصرف .

فولومنيا : آه يا سيدي ، يا سيدي ،
كنت اتمنى لو انك تثبت من لبوس سلطنتك قبل أن تهرثها .

كريولانس : دعيني .

فولومنيا : لكان بوسعك ان تكون الرجل الذي انت .

بالتقليل من محاولتك ان تكونه : ولكانت

مناواتهم ميولك أقل لو أنك

لم تكشف لهم عنها ،

قبل ان يفقدوا القوة على معارضتك .

كريولانس : فليشتقوا !

فولومنيا : أجل ، وليُحرقوا أيضاً .

(يدخل منيوس وبعض الشيوخ)

منيوس : لا ، لا ، لقد بالغت في الخشونة ، بالغت بعض الشيء ،
عليك أن تعود وتصلح ما أفسدت .

شيخ أول : لا علاج ،

ان رفضت فعل ذلك ، إلا أن تشق

مدينتنا الطيبة شقين ، وتهلك .

فولومنيا : ارجوك انتصح .

إن لي قلباً عنيداً كقلبك ،

ولكن لي عقلاً يرشدني الى استخدام غضبي

لنتيجة أبرع .

منيوس : أحسنت أيتها النبيلة !

قبل أن ينحني هكذا للقطيع ، لولا أن

نوبة الزمان العنيفة تتطلب ذلك دواء

للدولة كلها ، لارتديت درعي الذي
أكاد أعجز عن حمله .

كريولانس : وماذا عليّ ان أفعل ؟

منيسوس : عد الى التريونات .

كريولانس : طيّب ، وبعد ذلك ؟ وبعد ذلك ؟

منيسوس : تأسف على ما قلت .

كريولانس : لهم ؟ لا أفعلها للآلهة ،
أفأفعلها لهم ؟

فولومنيا : إنك تكابر اكثر مما ينبغي .

ولو انك في ذلك على نبيل عظيم
إلا حين تحتم الأزمات . لقد سمعتك تقول
ان الشرف والدهاء ، كصديقين متلازمين ،
ينموان في الحرب معاً : فاذا سلّمنا بذلك ، قل لي ،
ما الذي في السلم يفقده الواحد بسبب الآخر
فلا يجتمعان فيه ؟

كريولانس : كفى ، كفى .

منيسوس : سؤال معقول .

فولومنيا : ان كان من الشرف في حروبك ان تبدو

على غير ما أنت - اذ تحقيقاً لغايتك
تتبنّى دهاءك - ما الخطأ

في أن يتلازم الدهاء والشرف في السلم
كما في الحرب ، ما دامت الحاجة
لكليهما متماثلة ؟

كريولانس : فيم اللجاجة هذه ؟

فولومنيا : لأن من الواجب عليك الآن أن تتحدث
إلى الشعب . لا بما توعد نفسك ،

ولا بما يلقنك إياه قلبك ،
ولكن بكلمات كالتي يحفظها
لسانك ، وإن تكن كلها بنات حرام والفاظاً
لا يقرها الصدق الذي في صدرك .
وهذا لن يمَسَّ شرفك
أكثر مما يمسه استيلاؤك على مدينة بالفاظ معسولة ،
لولاها لجازفت بمصيرك
وبأخطار سفك دماء كثيرة .
أني لمستعدة للتظاهر بما ليس حقيقي .
إذا ما تطلب مصيري ومصير اصدقائي عند الشدة
ان أفعل ذلك بشرف . إني بهذا
زوجتك ، وابنتك ، وهؤلاء الشيوخ ، والنبلاء .
أما أنت فتؤثر أن تُبدي لأجلاف عوامنا
قدرتك على العيوس، وتأبى رفدهم بابتسامة كاذبة
لكسب حبههم ، وضمان
ما قد يحطمه فقدان ذاك الحب .

متيوس : ما أنبلك من سيدة !
(لكريولانس) هلم معنا . أحسن القول لهم . وبذا قد لا تنقذ
الحاضر الخطر فحسب ، بل تسترد
ما سبق أن فقد .

فولومنيا : ارجوك يا بني
ان تذهب اليهم ، وهذه القبعة بيدك .
واذ تمدها بعيداً هكذا - سايرهم بهذا ! -
وركبتك تقبل الحجارة - فإن الحركة
في امور كهذه فصاحة ، وعيون الجهلة
أكثر علماً من الأذان - وتهز برأسك
كثيراً ، هكذا ، مصححاً قلبك الشامخ ،
وقد اتضع كالتوتة الناضجة التي
لا تقاوم لمسة اليد : قل لهم

انك جندبيهم ، ولنشأتك في المعارك فإنك
لا تعرف ذلك الاسلوب الناعم الذي ، تعترف ،
كان يليق بك استخدامهم في خطب ودهم ،
كما يليق بهم الإصرار عليه ، بيد أنك ستقول ،
نفسك بعد اليوم ، ولا ريب ، على هواهم ،
بأقصى ما تملك من قوة وشخصية .

مونيوس : لو فعلت ذلك ،
كما تقول والدتك ، لوجدت قلوبهم ملك يديك .
فإن لهم مغفرات ، إن سُئِلوا ، بسخاء ما لهم
من كلمات بلا جدوى

فولومينا : ارجوك الآن ،
إذهب وانتصح . ولو أنني أعلم أنك تؤثر
اللاحق بعدوك في دوامة من نار
على غمّلقه في خيلة مزهرة . هذا كوميوس .
(يدخل كوميوس)

كوميوس : إني قادم من ساحة السوق . سيدي، من المستحسن
ان تجعل لك جماعة قوية ، أو أن تدفع عن نفسك
بالهدوء ، أو الغياب . الجميع مغضبون .

مونيوس : الكلام الجميل فقط .
كوميوس : اعتقد ان ذلك مفيد
ان هو استطاع ان يكتف روحه لذلك .

فولومينا : بل عليه ان يفعل ذلك .
ارجوك ، قل انك ستفعل ، وهلمّ لها .
كريولانس : أعليّ أن أبرز لهم يافوخي الأجرد ؟
أعليّ بلساني الوضع ان اكذب قلبي النبيل
وأحمله الأكذوبة ؟ حسناً ، سأفعلها .
ولكن ، لو كان المهتد بالضياح هذا الكيان بمفرده ،

قوام مارسىوس ، هذا ، فليسحقوه هباء
ويقذفوه بوجه الريح . الى ساحة السوق !
لقد اكرهتموني الآن على أداء دور
لن أنفخ فيه الحياة أبداً .

كومنىوس : هيا ، هيا ، سنلقنك .
فولومنيا : ارجوك يا بني ، فكما قلت
إن مدحي جعل منك جندياً أول الأمر ،
هكذا ، لتخطي بمدحي من جديد ، قم بدور
لم تقم به من قبل .

كربولانس : حسناً ، لا بد لي منه .
إليك عني ، يا نوازعي ، ولتحل بي
روح عاهرة من العواهر ! ولتنقلب حنجرتي الحربية ،
التي ما تناغمت إلا وطلي ، الى قصبة
رفيعة الصوت كالخصي ، أو كصوت عذراء
يهدد الأطفال ليناموا ! ولتخيم في خدي
بسمات الأندال ، ولتملأ كأسني بصري
دموع صبية المدارس ! ولتتحرك بين شفتي
لسان المتسول ، وركبتي المسلحتان
اللتان ما انحستا يوماً إلا في ركابي ، فلتنحنيا كركبتي
من يتسلم احساناً ، لا ، لن أفعلها !
مخافة أن أكف عن اكرام حقيقتي ،
فاعلم قلبي بفعل جسدي ضعة تلصق به . .

فولومنيا : لك الخيار ، اذن .
إن استجدائي إياك اشد مجلبة للعار لي
من استجدائك اياهم . فليتحطم كل شيء : دع
امك تستشعر كبرياءك عوضاً عن ان تخشى
كبرك الخطر ، فانا أسخر من الموت
بقلب كبير مثلك . افعل ما يحلو لك .

شجاعتك كانت شجاعتي ، لقد رضعتها مني ،
أما كبرياؤك ، فأنت مدين بها لنفسك .

كريولانس : اقنعي ، ارجوك .

أماه ، اني ذاهب الى ساحة السوق .
لا تعنّفيني بعد . سأنتزع حبههم بالدجل والألاعيب ،
وقلوبهم بالحيل والخدع ، وأعود الى البيت محبوباً
من ذوي المهن كلها في روما . انظري ؛ اني ذاهب ،
سلمي لي على زوجتي . سأعود قنصلاً ،
والأفلا تركني الى ما يستطيعه لساني من نفاق بعد اليوم .

فولومنيا : افعل مشيئك .

(تخرج)

كومنيوس : هيا ! التريونات في انتظارك . سلّح نفسك
للاجابة بلطف . لأنهم مهياون ،
كما سمعت ، بتهم أقوى من تلك
التي اتهموك بها حتى الآن .

كريولانس : الكلمة هي : « بلطف » ! ارجوكم ، تفضلوا .
ليتهموني تلفيقاً ، أما أنا .
فسأجيب بما يليق بشرفي :

مانيوس : نعم ، ولكن بلطف .

كريولانس : حسناً ، بلطف . بلطف ، اذن !

(يخرجون)

المشهد الثالث

المتدى فى روما

(يدخل سسنىوس وبروتس

بروتس : بهذا الأمر اتهمه بقوة ، وهو أنه يستهدف
سلطة المستبد ، فإذا راوغنا بذلك
شدّد عليه بأنه يُبغض الشعب ،
وأن الغنائم التي أخذت من الأنتياتين
لم توزّع قط .

(يدخل ايدىل)

ماذا ، هل سيأتى ؟

ايدىل : إنه آتٍ .

بروتس : من يرافقه ؟

ايدىل : منىوس الشيخ ، والشيخ الآخرون
الذين دائماً أحبوه .

سسنىوس : هل لديك قائمة

بالأصوات كلها التي حصلنا عليها ،

مدونة وفق سجل الناخبين ؟

ايدىل : نعم ، انها جاهزة .

سسنينوس : هل جمعتها حسب العشائر* ؟

ايديل : نعم .

سسنينوس : ادع الشعب الى التجمع هنا في الحال .

وحالما يسمعونني أقول ، « هكذا أمرنا ،

بحق وقوة العوام » ، سواء أكان ذلك

بالموت ، أو الغرامة ، أو النفي ، دعهم عندئذ .

إذا قلت غرامة ، يصيحون « غرامة ! » ، أو الموت ،

يصيحون « الموت ! » .

مصرّين على الحق العتيد .

والقوة الكامنة في صدق القضية .

ايديل : سأخبرهم .

بروتس : وإذا ما بدأوا بالصياح

لا تدعهم يكفّون ، بل دعهم باللفظ والجلية

يفرضون التنفيذ الفوري

لما قد ننطق به من حكم .

ايديل : حسناً جداً .

سسنينوس : ليكونوا أقوياء ، ومستعدين لهذه الإشارة ،

حالما نعطيهم إياها .

بروتس : اذهب لمهمتك .

(يخرج الايديل)

أثر سحقه رأساً . لقد اعتاد

دوماً قهر الآخرين ، والتغلب بقدرته

على المعارضة^{xx} ، ولكنه إذا استُفِرَّ ، عجز

عن كبّح نفسه أو ضبطها . وعندها قال

(x) العشائر ، Tribes عند الرومان كانت فئات الشعب السياسية ، وهي ثلاث عشائر للأشراف ، وثلاثون للعوام .

(xx) العبارة في الأصل قد لا تعني هذا بالضبط . وقد اختلف فيها الباحثون الشكسيريون .

ما في قلبه ، وما في قلبه يبدو أنه ،
بعون منا ، سيدقّ عنقه .

سسنينوس : ها هو قادم .

(يدخل كريولانس ، منتيوس ، كومنيوس ، شيوخ ، أشراف .)

منتيوس : بهدوء ، أتوسل اليك .

كريولانس : أجل ، كالسائس الذي يتحمل ، لقاء فلسين ،
ان يدعى وغداً بالجملة . ألا حفظت الآلهة الكريمة
لروما أمنها ، وأبقت كراسي العدل
مليئة بذوي الفضل والمروءة ! وغرست الحب بيننا !
وحشدت هياكلنا الفسيحة بظواهر السلم
لا شوارعنا بظواهر الحرب !

شيخ اول : آمين ، آمين .

منتيوس : أمنية نبيلة !

(يدخل الأيديل ثانية ، مع المواطنين)

سسنينوس : اقتربوا ، ايها الناس .

الشرطي : أصغوا الى تريوناتكم . اسكتوا ، واسمعوا !
كريولانس : أولاً ، اسمعوني اتكلم .

التريونان : تفضل . اسكتوا يا قوم !

كريولانس : ان توجّهوا الى مزيداً من الاتهام بعد هذا ؟
هل سيحسم الأمر هنا ؟

سسنينوس : انني سأسأل :

هل تخضع لأصوات الشعب ،
وتعترف بموظفيه ، وترضى

بحاسبتك قانونياً على الأخطاء
التي قد تُبرهن في حقك ؟

كريولانس : أرضى .

مننيوس : انظروا ايها المواطنون ، يقول انه يرضى .
الخدمات الحربية التي أتاها ، اعتبروها . تأملوا
الجروح التي يحملها جسده ، والتي تبدى
كالقبور في تربة مقدسة .

كريولانس : خدوش بالشوك ،
ونُدْبُ تثير الضحك لا غير .

مننيوس : ولاحظوا أيضاً ،
عندما لا يتكلم كمواطن ،
فإنكم تجدونه يتكلم كجندي ، لا تعتبروا
نبراته الخشنة اصواتاً حاقدة
بل ، كما قلت ، أمراً خليقاً بجندي
ولا يضر سوءاً لكم .

كومنيوس : حسناً ، حسناً ، كفى .

كريولانس : ما الأمر ؟
ما كدت أنتخب قنصلاً باجماع الأصوات
حتى طعنتم فيّ ، وفي الساعة نفسها
سحبتم أصواتكم ؟

سسينيوس : أجبنا أنت .

كريولانس : تكلم اذن . صحيح ، علي أنا أن اجيب .

سسينيوس : اننا نتهمك بأنك تأمرت على
تجريد روما من كل منصب ووطيد
وعلى الانتهاء بنفسك الى تسلط دكتاتورى ،
وبهذا تكون خائناً للشعب .

كريولانس : ماذا ؟ خائن ؟

مننيوس : بلطف ، كما وعدت .

كريولانس : لتلتهم الشعب نيران جهنم السفلى !

أندعوني خائناً ؟ أيها الترييون المهين !

لو قعد في عينيك عشرون ألف موت ،

وفي يدك لو قبضت من الموت عشرين مليوناً

وفي لسانك الكاذب كلا العددين معاً ، فإني أقول

لك : « كاذب أنت » بصوت حرّ

كذاك الذي أبتهل به الى الآلهة .

سسينوس : اترون ذلك يا قوم ؟

مواطنون : الى الصخرة به ، الى الصخرة !

سسينوس : صمتاً !

اننا في غنى عن اضافة مادة جديدة الى اتهامه :

فما رأيتموه يفعل وسمعتموه ينطق ،

ضارباً مسؤوليكم ، شامئاً إياكم ،

مقاوماً القوانين بالضرب ، وهنا متحدياً

هؤلاء الذين لهم عظيم السلطة لمحاكمته : هذا كله

عمل جرمي ومن أكبر أنواعه ،

ويستحق أقصى الموت .

بروتس : ولكن حيث أنه أدى

لروما خدمات طيبة ..

كريولانس : ما الذي تلغو به عن الخدمات ؟

بروتس : اني اتحدث عما أعرفه .

كريولانس : أنت ؟

مننيوس : أهذا ما وعدت به أملك ؟

كومنيوس : اعلم ، أرجوك ..

كريولانس : لا ، كفاني علماً !

ليحكموا عليّ بالموت بالصخرة « الطاربية » الشاهقة ،
بالنفي والتشريد ، بالسُلخ ، بالسُجن للعيش
على حبة واحدة في اليوم ، فإني لن ابتاع
رحمتهم بسعر كلمة جميلة واحدة .
ولن أكبح شجاعتي لقاء ما بوسعهم أن يهبوه ،
حتى ولو بقولي لهم « صباح الخير » .

سسينوس : حيث أنه

من حين الى حين ، وبقدر ما يستطيع ،
ضغن على الشعب ، باحثاً عن وسيلة
يتنزع بها سلطتهم ، كما أنه الآن أخيراً
تعدى بالضرب ، لا في حضرة
العدالة المهمة فحسب ، بل ايضاً على الذين
يورّعونها . فإننا باسم الشعب
وبالسلطة المخوّلة لنا ، نحن التريبونات ،
نفيه من مدينتنا منذ هذه اللحظة .
وعليه ألا يدخل أبداً مرة أخرى
أبواب مدينتنا روما ، وإلا عوقب
بالقائه من الصخرة « الطاربية » : باسم الشعب ،
وجب التنفيذ !

مواطنون : وجب التنفيذ ، وجب التنفيذ ! ليخرج !
لَيُنْفَ ! ولسوف يُنفى !

كومنيوس : اسمعوني ، يا سادتي ، يا صحيبي العوام ..

سسينوس : لقد حُكم . لن نسمع بعد .

كومنيوس : دعوني أتكلم .

لقد كنت قنصلاً ، وبوسعي أن أري روما
آثار أعدائها على جسدي . اني أحب
الخير لبلدي حباً يزيد طراوة ،

وعمقاً وقُدسية ، على حبي لحياتي ،
لكرامة زوجتي العزيزة ، لثمرة رحمها ،
وجوهرة حَقَوَي . فإن أَقْل اذن ..

سسينوس : نعلم قصدك . فإن تقل ماذا ؟

بروتس : لم يبق ما يقال . انه منفي ،

كعدو لشعبه ووطنه :

لقد وجب التنفيذ .

مواطنون : وجب التنفيذ ، وجب !

كريولانس : يا عوام ، يا كلاباً نابحة أمقت انفسها

كضباب المستنقعات التنة ، واثمن حبها

كما أثمن جيف الموتى التي لم تُدفن

فأفسدت هوائي : إني انفيكم انتم !

امكنوا هنا في قلقكم !

وأعداؤكم ، بمحض هز الريش في هاماتهم ،

لسوف يشعلونكم ياساً ! لتكن لديكم السلطة دوماً

لنفي مُحَاتكم ، حتى يؤدي بكم في النهاية جهلكم

الذي لا يُرى إلا بوخر الحس ،

غير عابء حتى بكم

يا أعداء أنفسكم ، الى تسليمكم

كأحط الأسرى لأمة ما

تفهركم دونما ضربة واحدة ! من اجلكم

احتقر المدينة ، وأدير لها ظهري هكذا .

ثمة عالم في مكان آخر .

(يخرج كريولانس ، كومنيوس ، مينيوس ،

الشيوخ ، والأشراف).

الايديل : عدو الشعب قد ولّى وراح !

مواطنون : عدونا قد نفي ! وولّى ! هاي ! هاي !

(يصيحون ويقذفون بقبعاتهم في الهواء)

سسينوس : اذهبوا ، وطاردوه حتى الأبواب ،
كما طاردكم ، بكل حقد وشماتة .
أزعجوه إزعاجاً يستحقه . واجعلوا حرساً
يرافقنا خلال المدينة .

مواطنون : هيا ، هيا نظارده حتى الأبواب .
حفظت الآلهة تربيوناتنا الكرام ! هلمّوا .
(يخرجون)

الفصل الرابع

المشهد الأول

روما، قرب أحد أبواب المدينة

(بدخل كريولانس، فولومنيا، فرجيليا، مننيوس،

كومنيوس، مع الشباب من أشرف روما.)

كريولانس : كفّوا عن الدموع . وداع مختصر . فالرحش

ذو الرؤوس العديدة ينطح بي بعيداً . أماء ،

أين شجاعتك القديمة ؟ كنت تقولين

إن الشدة امتحان النفوس ،

وإن العاديّ من الحظوظ بوسع العادين تحمله .

وان البحر إذا هدا كانت السفن في حذق الاقلاع

سواسية ، وطعنات الدهر

إذا اشتد وقعها ، لا بد لنا ، حفاظاً للباء ونحن نُجرح ،

من نبل الحكمة . والعقل . لقد دأبت على تحميلي

مبادئ تجعل القلب الذي يحفظها

قوياً لا يقهر .

فرجيليا : يا للساء ، يا للساء !

كريولانس : لا يا امرأة ، أرجوك ..

فولومنيا : ألا لفت الطاعون الأحمر كل ذوي المهن في روما !

ألا جرف الموت كل ذي حرفة !

كريولانس : هوّني عليك !

سيحبونني اذ يفتقدونني . أماه ،
استعيدي تلك الروح أيام اعتدت ان تقولي
لو كنت زوجة هرقل
لقت بستة من واجباته الرهيبة ، ووفرت
على زوجك كثيراً من العرق . كومنيوس ،
لا تكتشب . الوداع ، وداعاً ، زوجتي ، أمي .
سأحسن الفعل بعد . وأنت يا منتيوس ، ايها الشيخ الوفي ،
دموعك أملح من دموع فتى شاب ،
وزعاف لعينيك . . . يا قائدي سابقاً
لقد رأيتك صارماً ، ولطالما شاهدت أنت
مشاهد تفتت القلب . قل لهؤلاء النسوة الحزينات ،
البكاء على نوازل لا مردّ لها جنون
كما هو الضحك منها . أماه ، انك تعلمين
أن مخاطري كانت دوماً لك تسلية ،
فلئن اذهب بمفردي ، كتنين مستوحده
يرهب الناس مستنقعهم ويتحدثون عنه اكثر مما يرونه ،
فلا تصدّقي بيسر أن ابنك
سيفتت على العرف ، أو يقع فريسة
لطعم مخادع أو حيلة مأكرة .

فولومنيا : يا فخر البنين ،

أني تتجه ؟ خذ الفاضل كومنيوس
معك بعضاً من الزمن . صمم على نهج ما
ولا تعرّض نفسك لكل صدفة هوجاء
تلوح في الطريق أمامك .

كريولانس : يا للآلهة .

كومنيوس : سأنبئك شهراً ، وأدبر معك
مكاناً لراحتك ، لكيما تسمع منا

ونسلمك : فإذا ما الزمن واتانا
بسبب لاستدعائك ، لن نرسل
الرسل في الدنيا الواسعة كلها بحثاً عن رجل ،
فتخسر اللحظة المؤاتية ، وهي التي تفقد حرارتها
بغياض من هو بحاجة إليها .

كريولانس : وداعاً !

محمل أنت بالسنين ، ومتخيم بالحروب ،
فلا ترُح وتطوف مع امرئ
لم يعرف بعد الخدوش . رافقني الى خارج باب المدينة ، وكفى .
هلموا يا زوجتي الحلوة ، يا أمي العزيزة ،
يا أصدقائي الكرام المجريين : اذا ما خرجت ،
ودعوني ، وابتسموا . ارجوكم ، هلموا ،
ما دمت فوق التراب فإنكم
ستسمعون دائماً مني ، ولن تسمعوا عني
إلا ما كان في السابق من شأني .

مثنيسوس : حقاً ، ان هذا خير ما تسمعه اذن .

لا تدعونا نذرف الدمع .
لو استطعت ان انفض محض سبع سنوات
عن ذراعيّ وساقيّ الشائخة هذه وحق الآلهة الكريمة ،
لسرت معك كل شبر .

كريولانس : أعطني يدك . هيا .

(يخرجون)

المشهد الثاني

روما، شارع قرب باب المدينة

(يدخل سسنيوس، وبروتس، وشرطي)

سسنيوس : مُرهم جميعاً بالانصراف الى بيوتهم . لقد ذهب : فَحَسْبُنَا .
وقد انزعج الأشراف ، ورأيانهم ينحازون
الى جانبه .

بروتس : الآن وقد أظهرنا قوتنا ،
لنبذر من التواضع بعد أن فرغنا من الأمر
أكثر مما أبدينا ونحن في صده .

سسنيوس : مرهم بالانصراف الى بيوتهم .
قل ان عدوهم الكبير قد راح ، وأنهم
عادوا الى ما كانوا عليه من قوة وبأس .
(يخرج الشرطي)

بروتس : اصرفهم الى بيوتهم .
هذه أمه قادمة .

سسنيوس : لنبتعد عن لقاءها .

بروتس : لماذا ؟

سسنيوس : يقولون انها مجنونة .

بروتس : لقد لاحظونا . استمر في طريقك .

(تدخل فولومنيا، وفرجيليا، ومنتيوس.)

فولومنيا : آه ، ما أجل لقاءكم ! ألا جازت الآلهة حبكم
بمحزون طاعونها !

منتيوس : اهدأي ! لا ترفعي صوتك هكذا .

فولومنيا : لو لم يمنعني عن ذاك بكائي ، لسمعت -
بل لسوف تسمع بعضاً منه - (لبروتس) أذهب أنت ؟

فرجيليا : (لسسنيوس) أبقى انت ايضاً . ليتني استطعت
ان اقول ذلك لزوجي .

سسنيوس : هل أنت من معشر الرجال (*) ؟
فولومنيا : نعم ، يا غبي . وهل من عيب في ذلك ؟ اليكم هذا الغبي .
الم يكن أبي رجلاً ؟ هل انت من معشر الثعالب **
لتنتفي ذاك الذي انزل من الضربات من اجل روما
بقدر ما نطقت انت من كلمات ؟

سسنيوس : اعينيني يا سماء !

فولومنيا : ومن الضربات النبيلة اكثر مما عرفت من كلمات حكيمة .
ولصالح روما . ساقول لك - ولكن اذهب .
بل ابق انت ايضاً . أتمنى لو ان ابني
في البادية وعشيرتك أمامه ،
وسيفه الصارم بيده .

سسنيوس : ثم ماذا ؟

فرجيليا : ثم ماذا !
لأنني ذريتك كلها .

(*) يقول سينيوس : Are you mankind : قاصداً التورية : « هل انت من معشر الرجال » و « هل أنت بشر » ؟ فتجيب
فولومنيا ، متجاهلة حفته المقصود بالمعنى الأول : « هل من عيب في ذلك ؟ » من المؤسف اننا لا نستطيع ان نترجم التورية
الشكسبيرية بتورية عربية ماثلة . فاكنتنا بالمعنى الظاهري .
(**) كان الثعلب مضرب المثل في الحبث ونكران الجميل معاً .

فولومنيا : بما فيها من أولاد حرام .
يا للشهم والجروح التي يحملها من أجل روما !

مننيوس : أهدي . أهدي .
سسينوس : يا ليتة استمر لبلده
كما كان يوم بدأ ، ولم ينقض بنفسه
العقدة النبيلة التي عقد .

بروتس : يا ليتة !

فولومنيا : « يا ليتة ! » أنت الذي الهبت مشاعر الغوغاء ،
هذه القطط التي تدرك قدرة الحق
كما ادرك أنا الأسرار التي لا تريد السماء
أن تعرفها الأرض .

بروتس : رجاء ، لننصرف .

فولومنيا : والآن ، رجاء ، يا سيدي ، انصرف .
ما أجل ما فعلتم ! قبل ان تنصرف ، اسمع هذا :
بقدر ما يسمو الكابول
على أحط منزل في روما ، هكذا ابني الذي
نفيتموه - زوج هذه السيدة هنا ، أترى -
يسمو عليكم جميعاً .

بروتس : طيب ؛ طيب ، سنغادركم .

سسينوس : وفيم البقاء لتنقر بنا
امرأة فقدت عقلها ؟

فولومنيا : خذا دعائي معكما :

(يخرج التريونان)

ليت الآلهة لا شغل لها سوى
تثبيت لعناتي ! لو أنني ألقاهما
مرة كل يوم ، لأرحت قلبي

من هذا الذي يثقله !

مونيوس : لقد اغلظت لهما القول .

ويقيناً ، لك الحق . أتعشيان معي .

فولومنيا : الغضب طعامي . اني اقتات على نفسي ،

فاذا أكلت مت جوعاً . هيا بنا .

(لفرجيليا) دعي عنك هذه المهمة الخافتة ، وانتحي مثلي ،

انتحاب الغضب ، مثل جونو* . كفى ، كفى .

مونيوس : لا يا هذه ، لا يا هذه !

(يخرجون)

(*) زوجة رب الآلهة جوبيتر . وهي شديدة الحقد في غضبها .

المشهد الثالث

طريق عام بين روما واثيوم

(يدخل روماني وفولسي، ويلتقيان)

روماني : أعرفك جيداً ، يا سيدي ، وتعرفني . اسمك ، فيما أظن ،
أدريان .

فولسي : نعم ، سيدي . حقاً ، لقد نسيتك .
روماني : انا روماني . وخدماني ، كما تعلم ، ضدهم ..
أما عرفتي بعد ؟

فولسي : نيكانور ؟ لا .
روماني : بل هو بعينه .

فولسي : كانت لحيتك اكتف عندما رأيتك أخيراً . غير أن وجهك تؤكد لهجتك . ما
الأخبار في روما ؟ لدي رسالة من الحكومة الفولسية للاتصال بك هناك . لقد
وقّرت عليّ مسيرة يوم كامل .

روماني : كانت في روما انتفاضات غريبة ، إذ قام الشعب على الشيوخ والأشراف
والنبلاء .

فولسي : كانت ؟ هل انتهت إذن ؟ حكومتنا لا تظن ذلك . فالتهيؤ للحرب عندها على
قدم وساق ، وهي تأمل ان تفاجئهم وهم في حرارة انقساماتهم .

روماني : أشد لهيبها انقضى ، ولكن اية صغيرة ستلهبها من جديد . لأن النبلاء ناقمون
على نفي ذلك الرجل الفاضل كريولانس ، حتى غدوا على أهبة تجريد الشعب

من كل سلطة ، وانتزاع ترييوناته منه الى الأبد . لا شك عندي ان هذا أمر متوقد ، ويوشك على الاندلاع العنيف .

فولسي : نفوا كريولانس !

روماني : نفوه ، نعم .

فولسي : ستلقى الترحيب بهذا النبأ يا نيكانور .

روماني : الظروف تواتيهم الآن . ورجلكم النبيل تلوس اوفديوس سيلمع في هذه الحروب ، ما دام خصمه العظيم كريولانس غير مرغوب فيه في بلده .

فولسي : لا بد أنه سيلمع . ما أسعد حظي بلقائك صدفة هكذا : لقد أنهيت مهمتي ، وسأرافقك مرحاً الى بيتنا .

روماني : سأحدثك بأغرب الأمور عن روما من الآن حتى العشاء . وكلها تميل الى صالح أعدائها . هل قلت ان لديكم جيشاً جاهزاً ؟

فولسي : ورائعاً . فالنقباء والذين بأمرتهم ، كل له مكانه ، والجميع مجيشون ، يكفي انذار ساعة لوضعهم على أهبة القتال .

روماني : يفرحني أن أعلم باستعدادهم ، وأغلب الظن ، انا الرجل الذي سيدفعهم قريباً الى الحركة . اذن ، مرحباً بك يا سيدي ، وأهلاً برفقتك .

فولسي : انك تأخذ دوري مني يا سيدي ، فأنا الذي لديّ الداعي للسرور برفقتك .

روماني : لنذهب معاً .

(يخرجان)

المشهد الرابع

(يدخل كريولانس في زي حقير، متكرراً ومتلفعاً)

كريولانس : انتيوم هذه مدينة بهية . ايتها المدينة ،
أنا الذي رملت نساءك . والعديد من واثني
هذه المباني الجميلة سمعتهم في حروبي
يثنون ويسقطون . لا تعرفيني اذن ،
لئلا تقتلني نساؤك بالسفايد وصبيتك بالحجارة
في معركة صغيرة .

(يدخل مواطن)

مرحباً ، سيدي .

مواطن : مرحباً .

كريولانس : دَلّني ، ان شئت ،

الى حيث يقيم اوفديوس العظيم . هل هو في انتيوم ؟

مواطن : نعم . ويقيم مأدبة لرجال الدولة في منزله هذا المساء .

كريولانس : أين منزله ، ارجوك ؟

مواطن : هذا هو ، أمامك ، هنا .

كريولانس : شكراً ، سيدي . مع السلامة .

(يخرج مواطن)

ايه دنيا ، ما اكتر تقلباتك الزلقة ! صديقان حيمان
يبدو أن صدريهما يحملان قلباً واحداً .
مبيتها أبداً معاً ، وكذا فراشهما ، طعامهما ،
رياضتهما ، كأنهما توأمان في حب
لا ينقسم ، وإذا هما في ساعة من الزمن
لاختلاف على درهم ، يندلعان
في عداوة مريرة : وكذا ، عدوان لدودان
أفسدت نومهما الأحقاد والمؤامرات
ليقتضي كلاهما على الآخر ، وإذا هما بصدفة ما ،
لتافه ما لا يساوي بيضة واحدة ، يغدوان صديقين حميمين
ويجمعان بين قضاياهما . هكذا الأمر معي :
اني اكره مسقط رأسي ، وخصصت بحبي
مدينة العدو هذه . سأدخل . فإن يصرعني
فهو انما يعدل ويُنصف . وأن يهني ما أريد
خدمت له بلده .

(يخرج)

المشهد الخامس

قاعة في منزل اوفديوس ، في انتيوم

(تسمع موسيقى من الداخل . يدخل خادم

خادم أول : شراب ، شراب ، شراب ! ما هذه الخدمة ! أعتقد
أن زملاءنا نائمون .

(يخرج)

(يدخل خادم ثانٍ)

خادم ثانٍ : اين كونس ؟ سيدي يطلبه . كونس !
(يخرج)

(يدخل كريولانس)

كريولانس : منزل جميل . ما أطيّب رائحة المأدبة ! ولكنني
لا أبدو كالضيوف .

(يدخل ثانية الخادم الأول)

خادم أول : ماذا تريد يا صاح ؟ من أين أنت ؟ ليس هذا مكانك .
ارجوك ، اذهب الى الباب .

(يخرج)

كريولانس : - بكوني كريولانس لم استحق معاملة
أفضل من هذه .

(يدخل ثانية الخادم الثاني)

خادم ثان : من أين أنت يا سيد ؟ هل للبواب عينان في رأسه فيسمح بالدخول لأناس كهذا ؟ أرجوك ، اخرج .

كريولانس : ابتعد !

خادم ثان : ابتعد ؟ أنت ابتعد !

كريولانس : انك ترزعجني .

خادم ثان : انتجراً عليّ ؟ سأدعو من يخاطبك في الحال .

(يدخل خادم ثالث ، ويلتقي به الخادم الأول)

خادم ثالث : من هذا الرجل ؟

خادم أول : من أغرب من رأيت . ولا استطيع اخراجه من المنزل . من فضلك ، ادع له سيدي .

خادم ثالث : ما الذي تبغيه هنا يا رجل ؟ أرجوك ، غادر المنزل .

كريولانس : دعني أقف ، فقط . لن أؤذي موقدكم .

خادم ثالث : من أنت ؟

كريولانس : سيد من السادة .

خادم ثالث : ولكن فقير عجيب الفقر .

كريولانس : بالضبط .

خادم ثالث : لطفاً ، ايها السيد الفقير ، اختر لك موقفاً آخر . فهذا ليس مكانك . تفضل ، اخرج . هيا .

كريولانس : انصرف الى شغلِكَ ، هيا ، وعش على الفتات البارد .
(يدفعه عنه)

خادم ثالث : الآن تخرج اذن ؟ أرجوك أخبر سيدي عن ضيفه الغريب هذا .

خادم ثان : سأخبره .

خادم ثالث : أين تقيم أنت ؟

كريولانس : تحت السراق .
 خادم ثالث : تحت السراق ؟ .
 كريولانس : نعم .
 خادم ثالث : وأين يكون ؟
 كريولانس : في مدينة الحدآت والغريان .
 خادم ثالث : في مدينة الحدآت والغريان ! اذن انت تقيم مع الزيفان* كذلك ؟
 كريولانس : كلا ، فأنا لا أخدم سيدك .
 خادم ثالث : كيف ، يا سيد ؟ أتدخل بشؤون سيدي ؟
 كريولانس : نعم ، ما اكثر ثرثرتك . عليك بقصعتك
 واخدم بها ! (يضربه ويدفعه عنه)
 (يدخل أوفديوس مع الخادم الثاني)
 أوفديوس : أين هذا الرجل ؟
 خادم ثالث : هنا ، سيدي . أردت أن أضربه كالكلب ، لولا
 خشيتي ازعاج السادة في الداخل . (يخرج)
 أوفديوس : من أين جئت ؟ ماذا تريد ؟ اسمك ؟
 لماذا لا تنطق ؟ انطق يا رجل . ما اسمك ؟
 كريولانس : (رافعاً اللفاع) ان كنت يا تلوس
 لم تعرفني بعد ، ولا تحسبني حين تراني
 الرجل الذي هو أنا ، فالحاجة
 تأمرني بذكر اسمي .
 أوفديوس : ما اسمك ؟
 كريولانس : انه اسم ناشز في آذان الفولسين .

(*) الزاغ نوع من الغراب ، غير ان الكلمة في الاصل daw تعني ايضاً « الابله أو المغفل » وهو المعنى الذي يقصده كريولانس في جوابه .

وتَمَجَّ صوته أذُنك

أوفديوس : قل ، ما اسمك !

مظهرك جهم ، وفي وجهك

علائم الأمر والنهي . لئن تكن أشرعتك ممزقة ،

فإن سفيتك تبدو نبيلة . ما اسمك ؟

كريولانس : هَيء جبينك للعبوس : ألم تعرفني بعد ؟

أوفديوس : لا أعرفك . اسمك ؟

كريولانس : اسمي كايوس مارسيوس ، هذا الذي أصابك

انت بالذات ، والفولسين كلهم ،

بحسيم الأذى والضرر . والشاهد على ذلك

لقي « كريولانس » : فالخدمات المرهقة ،

والأخطار القصوى ، وقطرات الدم

النازقة من أجل بلدي العاق ، لم تُجَزَّ إلَّا

بهذا اللقب - ذكرى طيبة ،

وشاهداً على الحقد والسخط اللذين

لا بد أن تكن لي . وحده هذا الاسم بقي .

والبقية التهمتها قسوة الشعب وضعيفته

بأذن من أشرافنا الرعايد الذين

هجروني جميعاً ،

وأتاحوا لأصوات العبيد أن

تطردني من روما . والآن هذه الضائقة .

أتت بي الى عقر دارك . لا أملاً

في انقاذ حياتي ، فلا تخطئني . لأنني

لو خشيت الموت ، من كل رجال الدنيا

لتجنبتك أنت . ولكن حقداً خالصاً

كيما انتقم من هؤلاء الذين نفوني ،

أقف هنا أمامك . فإن تكن

في قلبك نقمة فتبغي الانتقام

للاساءات التي لحقت بشخصك ، ولأم جراحات
 العار التي ترى في بلدك ، أسرع على الفور
 واجعل شقائي يخدم غايتك . استخدمه
 بحيث تغدو خدماي الناقمة
 فوائد لك . لأنني سأقاتل
 ضد بلدي المنخور بمرارة
 شياطين الجحيم . ولكن اذا تبين
 انك لا تجرؤ على هذا ، وأنتك أتعب
 من أن تجرب المزيد من الخطوط ،
 اذن ، بكلمة واحدة ، فأني أنا أيضاً
 متعب من المزيد من الحياة ، وأقدم
 عنقي لك ولحقك العتيد ،
 فإذا لم تقطعه برهنت على حماقتك ،
 لأنني ما طاردتك يوماً إلا بكراهية ،
 وسحبت دنائاً من الدم من صدر بلدك ،
 ولا استطيع الحياة إلا لعارك ، أو-
 لاسداء خدمة لك .

أوفديوس : مارسيوس ، مارسيوس !
 ما نطقت بكلمة إلا واجتثت من قلبي
 جذراً لحقد قديم . لو ان جوبيتر
 فاه من تلك الغيمة بأمر إلهية
 وقال : « هذا حق ! » لما صدقته أكثر
 منك ، يا كامل النبل يا مارسيوس . فلألف
 ذراعي حول ذلك الجسم الذي ازاءه
 تكسرت قناتي الصلبة مئة مرة
 وجرحت وجه القمر بالشظايا . ها أنا أعانق
 سندان سيفي* ، وأسابق
 حبك بالحرارة والنبل نفسيهما

(*) يصفه سندان سيفه لكثرة ما ضربه بسيفه ، كما يضرب الحداد السندان .

اللذين كنتُ بهما دوماً مع طامع القوة
أصارع شجاعتك . أعلم أولاً
أنني أحببت العذراء التي تزوجت ، وما تنهد
رجل نفساً أخلص مني . ولكن برؤيتك هنا ،
أيها الجوهر الكريم ، فإن قلبي المنتشي ليرقص أكثر
مما فعل حين رأيت عروسي الحبيبة
تخطو فوق عتبي . وحقّ مارس ، أقول لك
لدينا جيش مهيباً ، وكنت قد عزمت
مرة أخرى على شق ترسك من عضلك
أو أفقد ذراعي أنا . لقد هزمتني
اثنتي عشرة مرة مختلفة ، ورحت كل ليلة
أحلم بالمجاهات بيني وبينك .
لظالما وقعنا معاً في منامي
نُسقط الحُوز ، ويلكم كلانا حنجرة الآخر ،
ثم أفيق نصف ميت على لا شيء . أيها الكريم مارسيوس
لو لم يكن لدينا نزاع مع روما سوى
نفيك منها ، لحشدنا الجميع ،
من أبناء الاثنتي عشرة الى السبعين ، وصبينا الوغي
في الأحشاء من روما العاقبة
كيّم جريء كاسح . تعال ، تفضل ،
صافح الشيوخ اصدقاءنا ،
الذين جاؤوا يودّعوني
لتهيؤي للزحف على أقاليمكم -
ولو دون روما نفسها .

كريولانس : انك تباركينني ، ايها الآلهة !

أوفديوس : ولذلك ، يا سيدي الخالص ، ان كنت تريد
ان تتولّى انتقاماتك بنفسك ، خذ
نصف قيادتي ، وقرّر -

فأنت سيد الخبرة ، وأنت أعلم

بمواطن القوة والضعف في بلدك - ما تتبع من سُبُل ،
 هل تطرق أبواب روما
 أم تأتيهم بفظاظة في أماكن نائية
 كيما ترعبهم قبل تحطيمهم - ولكن ، ادخل .
 دعني أوصي بك أولاً هؤلاء الذين
 سيقولون نعم لرغباتك . مرحباً ، ألف مرحباً !
 وصديقاً أكثر منك عدواً أبداً -
 ولكن ما أكثر ما كان ذلك يا مارسيوس . هات يدك ، ومرحباً بك !
 (يخرج كريبولانس واوفديوس)
 (يتقدم الخادمان)

خادم أول : هذا تحول غريب !
 خادم ثانٍ : وحق يدي هذه ، خطر لي أن أضربه بالعصا .
 إلا أن عقلي قال لي إن ثيابه تكذب النبأ عنه .
 خادم أول : ما أقوى ذراعه ! لقد أدارني باصبعه وإبهامه ،
 كيما تدبر المصرع .
 خادم ثانٍ : بل إنني عرفت من وجهه أن به شيئاً ما - فإن له وجهاً ، حسبت - لا أعرف كيف
 أصفه .
 خادم أول : بالضبط . يشبه كأنه يا ليتني أُشْتُق ، ولكنني حسبت إن فيه أكثر مما
 اظن . .
 خادم ثانٍ : أقسم لك أنني أنا أيضاً حسبت ذلك : إنه ببساطة رجل لا نظيره في العالم .
 خادم أول : اعتقد ذلك . ولكن هناك جندياً أعظم منه ، أنت تعرفه .
 خادم ثانٍ : من ، أسيدي ؟
 خادم أول : طبعاً ، ولكن لا بأس .
 خادم ثانٍ : بل يساوي ستة مثله .
 خادم أول : لا بذاك المقدار . ولكنني اعتبره جندياً أعظم منه .

خادم ثانٍ : في الواقع ، كما ترى ، لا يعرف المرء كيف يقولها : ففي الدفاع عن المدينة ، قائدنا ممتاز .

خادم أول : نعم ، وفي الهجوم كذلك .

(يدخل الخادم الثالث)

خادم ثالث : يا عبيد ، عندي أخبار لكم ، أخبار ، يا أنذال !

خادم أول وثان : ما هي ، ما هي ؟ حدثنا .

خادم ثالث : لن أتمنى ان اكون رومانياً ، من كل أمم الأرض . فالروماني والمحكوم بالاعدام سواء بسواء .

خادم أول وثان : لماذا ، لماذا ؟ .

خادم ثالث : هنا جاءنا ذلك الذي كان من شأنه أن يضرب قائدنا على قفاه ، كايوس مارسيوس .

خادم أول : لم تقول « يضرب قائدنا على قفاه » ؟ لقد كان دائماً ندأ له .

خادم ثانٍ : اسمعنا ، فنحن زملاء وأصدقاء : لقد كان صعباً جداً عليه . هذا ما سمعته يقوله هو .

خادم أول : كان صعباً جداً عليه بشكل واضح ، فلنقل الصدق . وأمام كريولي راح يشرّحه ويحرّره كالكتاب .

خادم ثانٍ : ولو كان من أكلة البشر ، لشواه وأكله أيضاً .

خادم أول : ولكن ، المزيد من أخبارك ؟

خادم ثالث : انهم يلغظون به في الداخل كأنه ابن الاله مارس ووريثه . أجلسوه في صدر المائدة ، وما من شيخ إلا يوجه سؤالاً إليه ، وقد وقفوا أمامه كالخشب . وقائدنا نفسه يجعل منه سيّدة معشوقة ، يتبرّك بلمسة من يده ، ويدبر بياض عينه لحديثه . إلا أن قرارة الخبر هي أن قائدنا مشطور من الوسط ، وما هو إلا نصف ما كان بالأمس ، لأن الآخر نال نصفه بالتماس ورضا من أهل الوليمة كلهم . وهو يقول انه سيذهب ويحرّر بواب روما من أذنيه : سيحصّد الجميع أمامه حصداً ، ويترك ممّرة سالكاً لمن يتبعه .

خادم ثانٍ : وسيفعلها كخير من استطيع تصوره .

خادم ثالث : يفعلها ؟ طبعاً سيفعلها . لأنه ، كما لا يخفى ، له من الأصدقاء بقدر ما له من الأعداء . وهؤلاء الأصدقاء ، يا صاح ، لن يجروا ، كما لا يخفى ان يبرزوا رؤوسهم ، كما نقول ، اصدقائه وهو في المعرة .

خادم أول : المعرة ! ما المعرة ؟ .

خادم ثالث : ولكن يا صاح ، عندما يرون هامته ترتفع من جديد ، والرجل مَدْمَى كله ، سيخرجون من جحورهم ، كالآرانب بعد المطر ، ويبتهجون معه .

خادم أول : ولكن متى سيحدث ذلك ؟

خادم ثالث : غداً . اليوم . في الحال . ستسمع الطبل يقرع بعد الظهر ، فكَأنه جزء من وليمتهم ، ولا بد من تنفيذه قبل أن يمسحوا شفاههم .

خادم ثان : اذن سترى عالمنا ثانية في حركة . فهذا السلام لا شيء ، سوى انه يُصدىء الحديد ، ويكثر الحياطين ، ويُولد ملّحني الأغاني .

خادم أول : أعطني حرباً ، هذا ما أقوله أنا . فهي تزيد على السلم بقدر ما يزيد النهار على الليل . انها سير خفيف سريع مسموع ، مليء بالحَيَوَة . أمّا السلم فهو شلل ، خول ، ثقل ، أصم ، ناعس ، فاقد الحس .

خادم ثان : نعم ، ويجعل الناس يكره بعضهم بعضاً .

خادم ثالث : والسبب ؟ لأنهم حينئذٍ تقل حاجتهم لبعضهم البعض . اعطني الحروب دائماً . وارجو ان أرى الرومان يخس قدرهم كالقولسيين . لقد نهضوا ، لقد نهضوا .

الثلاثة معاً : ادخلوا ، ادخلوا !

(يخرجون)

المشهد السادس

مكان عام في روما

يدخل سسنيوس وبروتس

سسنيوس : لا نحن نسمع عنه ، وما علينا بخوف منه .

وما فعله لا يذكر ، في السلام الراهن

وهدوء الناس الآن ، وهم الذين كانوا قبلاً

في سرعة هوجاء . اننا هنا نجعل أصدقاءه

يحمرون خجلاً من أن الدنيا بخير ، فهم يؤثرون -

وان يقاسوا لذلك - أن يروا

أعداداً من المتمردين تضجّ بهم الطرقات ، على رؤية

تجّارنا يغنون في حوانيتهم ، ويؤدون

وظائفهم بوتام .

بروتس : لقد واجهنا الأمر قبل فوات الأوان .

هل هذا مننيوس .

سسنيوس : انه هو ، هو . لقد أصبح في منتهى الرقة مؤخراً .

(يدخل مننيوس)

مرحباً ، سيدي !

مننيوس : مرحباً بكليهما !

سسنيوس : صاحبك كريولانس ، سيدي ، لا يفتقده كثيراً

إلا أصدقاؤه . الجمهورية قائمة ،
وستبقى قائمة حتى لو ازداد غضباً عليها .

مثنىوس : كل شيء بخير ، ولكان الوضع افضل بكثير
لو انه استطاع ان يمالئ ويماطل .

سثنىوس : أين هو ، هل سمعت ؟

مثنىوس : لا ، لم أسمع شيئاً . أمه وزوجته
لم تسمعا شيئاً منه .

(يدخل ثلاثة مواطنين أو أربعة)

مواطنون : حفظتكم الآلهة كليكم !

سثنىوس : أهلاً بكم ، جيراننا .

بروتس : أهلاً بكم جميعاً ، أهلاً بكم جميعاً .

مواطن أول : نحن ونساؤنا وأولادنا ، نخرّ على الركب
مصلّين من اجلكم .

سثنىوس : عشتم ، موفقين !

بروتس : مع السلامة ، أيها الجيران الكرام . نتمنى لو ان كريولانس
أحبكم كما احبيناكم

مواطنون : حفظتكم الآلهة !

بروتس ، سثنىوس : مع السلامة ، مع السلامة .

(يخرج المواطنون)

سثنىوس : هذه أيام أسعد وأجل ،

من تلك التي كان فيها هؤلاء القوم يركضون في الطرقات
متصايحين بالفوضى .

بروتس : كان كايوس مارسيوس

ضابطاً قديراً في الحرب ، غير أنه كان صلفاً ،

تركبه الكبرياء ، طموحه لا يدركه الفكر ،
ويعشق ذاته ..

سسينيوس : عاقدا العزم على عرش بمفرده
ومن غير مساعدين

مئنيوس : لا أعتقد ذلك .

سسينيوس : لو أنه بقي قنصلاً حتى الآن ،
لرأينا ذلك ، ولرحنا جميعاً نقرع سن الندم .

بروتس : لقد منعت ذلك الآلهة ، وها هي ذي روما
تجلس آمنة مطمئنة بدونه .

(يدخل ايديل)

ايديل : أيها التريونان الفاضلان ،
ثمة عبد ، وضعناه في السجن ،
يخبرنا أن الفولسيين بجيشين مختلفين
قد دخلوا الأقاليم الرومانية
وراحوا ، بأعمق أحقاد القتال ،
يدمرون كل ما يلقون أمامهم .

مئنيوس : انه اوفديوس -

فهو حال سماعه بنفي مارسسيوس
يقذف بقرنيه في العالم من جديد -
وقد كانا مقوقعين حين كان مارسسيوس يدفع عن روما
ولم يجرؤا ولو مرة على البروز .

سسينيوس : ما هذا الحديث عن مارسسيوس ؟

بروتس : اذهب ومر بجلد مروج الشائعات هذا . لا يُعقل
أن الفولسيين يجرؤون على الخروج علينا .

مئنيوس : لا يُعقل !

لدينا سجل بأنه يُعقل جداً .

ثمة ثلاثة امثلة على ذلك .
منذ ان ولدت أنا . ولكن استفسروا الرجل
قبل ان تعاقبوه ، من أين سمع هذا ،
لئلاً تجلدوا عن غير قصد مصدر إخباركم ،
وتنهوا الرسول الذي يوصيكم بالحدّ
مما يجب الخوف منه .

سسنينوس : لا تقل لي :
أعلم أن هذا غير معقول .
بروتس : غير ممكن .

(يدخل رسول)

رسول : ان الاشراف جميعاً في طريقهم الى
مجلس الشيوخ ، وعليهم سياء جدّ عظيم . جاءهم خبر ما
قلب وجوههم .

سسنينوس : انه هذا العبد .
اذهب واجلده أمام أعين الناس . انه مخدوع .
لا شيء إلا خبره .

رسول : بل ان خبره ، سيدي الفاضل ،
مؤيّد . والتقارير التالي
ارعب ، أرعب بكثير .

سسنينوس : ما هو الأرعب ؟

رسول : افواه كثيرة تلفظ به دون قيد -
ولا أدري أهو محتمل أم لا - وهو أن مارسيوس
انضم الى اوفديوس ، وهو يقود جيشاً ضد روما
وينذر بانتقام عريض كاسح
يشمل الصغار والكبار جميعاً .

سسنينوس : رائع ! محتمل جداً !

بروتس : اختلاق محض ، لكيما يتمنى ضعاف النفوس
لو ان « مارسىوس الشهم » يعود الى البلد .

سسنىوس : خديعة ، لا غير .

منىوس : هذا غير ممكن
فهو واوفديوس لا يستطيعان الاتفاق
إلا بقدر ما تتفق أعنف الأضداد .

(يدخل رسول ثان)

رسول ثان : يطلبونكم في مجلس الشيوخ .
ثمة جيش رهيب يقوده كاريوس مارسىوس
بالتحالف مع اوفديوس ، يزجر
على أقاليمنا . وقد شق طريقه ، عاصفاً بالنار ، مستبيحاً
كل ما هو أمامه .

(يدخل كومنىوس)

كومنىوس : ما أجل ما صنعتم !

منىوس : ما الخبر ؟ ما الخبر ؟

كومنىوس : لقد تعاونتم على
صهر رصاص المدينة فوق رؤوسكم ،
على رؤية نسائكم تغتصب تحت أنوفكم ..

منىوس : ما هو الخبر ؟ ما هو الخبر ؟

كومنىوس : هياكلكم تحرق بطينها ،
وحقوقكم التي تشبثم بها تحصر
في ثقب مخرز .

منىوس : أرجوك ، أخبارك ، ما هي ؟
أخشى انكما أبدعتما ! - أرجوك ، أخبارك ؟
إذا اتحد مارسىوس مع الفولسيين -

كومنيوس : اذا !

انه إلههم : يقودهم كأنه شيء
خلقه اله غير الطبيعة ،
اله أبرع منها في صنع الانسان . و وهم يتبعونه
في هجومهم علينا نحن العجايا ، بثقة
كثقة صبية يلاحقون فراشات الصيف ،
أو جزّارين يقتلون الذباب .

مونيوس : لقد أبدعتما ،

أنتما واصحابكما ذوو المرايل ، اذ رحتما تشبثان
بأصوات ذوي المهن
وأنفاس أكلة الثوم !

كومنيوس : ولسوف يهزّ مدينتكما
روما حول آذانكما .

مونيوس : كما كان هرقل

يهز الاثمار الناضجة . لقد أبدعتما !

بروتس : ولكن هل هذا صحيح يا سيدي ؟

كومنيوس : نعم ، ولسوف يشحب وجهك
قبل أن تجده غير ذلك . المقاطعات كلها
تثور مبتسمة ، ومن يقاوم
يسخروا من جهله الجريء
ويُمَتّ ميتة الأبله الوفي . ومن يلومه ؟
أعداؤكم وأعداؤه يجدون فيه شيئاً ما .

مونيوس : لقد قُضي علينا ، إلّا

إذا أبدى لنا هذا النبيل الرحمة .

كومنيوس : ومن سيطلبها ؟

التريبونات لا يستطيعون ذلك ، خجلاً . والشعب
يستحق منه الشفقة بقدر ما يستحقها

الذئب من الرعاة . أما أنخلص أصدقائه ،
ان قالوا « تلتطف بروما » ، فانهم قد أتهموه
كما فعل اولئك الذين استحقوا كرهه ،
وبدوا بذلك كالأعداء .

مونيوس : صحيح .

لو انه وضع بيقي جرة النار التي
سئلتهمه ، لما كانت عندي الصفاقة
لأقول له : « كفت ، ارجوك ! » ، ما أجل ما صنعتنا ،
انتما ومهرجوكما ! ما أبدع ما هرجتم !

كومنيوس : لقد انزلتيا

رجفة بروما لم تكن قط كما هي اليوم
في منأى عن كل عون .

التربونان : لا تقل نحن انزلناها .

مونيوس : من اذن ؟ أنحن ؟ نحن احببناه . غير أننا وحوشاً
وأشرافاً جبئاء ، خضعنا لمعجاجكما
الذين أخرجوه بعجيجهم من المدينة .

كومنيوس : ولكن اخشى

أنهم سيدخلونه ثانية ، بجئيرهم . ان تلوس اوفديوس ،
ثاني أسماء الرجال شهرة ، لطيع أوامره
كأنه ضابط بأمرته . ان تستيش روما
هو كل ما بوسعها ان تبدي ازاءهما
من سياسة ، وقوة ، ودفاع .

(يدخل رهط من المواطنين)

مونيوس : جاء المعجاج !

وهل أوفديوس معهم ؟ انكم انتم الذين
أفسدتم الهواء عندما رحتم تقذفون
بقبعاتكم العرقلة التتنة ، وترعقون

لنفي كريولانس . انه الآن آتٍ ،
وما من شعرة في رأس جندي
إلا وتتحول الى سوط . وبقدر ما رفعتم
من قبعات سيهوي رؤوساً جوفاء
ويجزيكم على أصواتكم . لا بأس .
لو استطاع حرقنا جميعاً وجعلنا فحمة واحدة
لما فعل إلا ما نستحق .

مواطنون : الحق ، لقد سمعنا أخباراً مريعة .

مواطن أول : أما أنا ،

فعندما قلت « انفوه » ، قلت « مع الأسف » .

مواطن ثانٍ : وأنا أيضاً .

مواطن ثالث : وأنا أيضاً ، وإذا اردت الصدق ، هذا ما قاله الكثير منا .
وما فعلناه ، فعلناه بأخلص النيات . ولئن رضينا بنفيه طائعين ،
فإن نفيه كان ضد إرادتنا .

كومنيوس : ما أجلكم ، أنتم وأصواتكم !

مننيوس : ما أروع ما صنعتم

انتم وقطيعةكم ! انذهب الى الكابتول ؟

كومنيوس : أجل ، وهل لنا غير ذلك ؟

(يخرج كومنيوس ومننيوس)

سسينيوس : هلموا يا سادة ، الى بيوتكم . لا تفرعوا .

ما هؤلاء إلا فئة سيفرحها

أن ترى الذي تخشاه ، يتحقق . الى بيوتكم ،

ولا تظهروا علائم الخوف .

مواطن أول : لترفق بنا الآلهة ! تعالوا يا سادة ، لنذهب الى بيوتنا .

انا كنت دائماً أقول اننا اخطأنا عندما نفيناه .

مواطن ثانٍ : كلنا قلنا ذلك . ولكن ، هيا ، الى البيت .

(يخرج المواطنون)

بروتس : لا يروق لي هذا الخبر .

سسيوس : ولا لي .

بروتس : لنذهب الى الكابتول . ليتني أعطي نصف مالي
لأجعل من هذا الخبر اكذوبة !

سسيوس : ارجوك ، لنذهب .

(يخرجان)

المشهد السابع

معسكر على مسافة قصيرة من روما

(يدخل أوفديوس وملازمه)

أوفديوس : أما زالوا يهرعون الى الروماني ؟

ملازم : لست أدري ما السحر الذي فيه ،
غير أن جنودك يستعملون صلاتهم قبل الأكل ،
حديثهم على المائدة ، وشكرهم في النهاية .
لقد حاق بك الخسوف ، يا سيدي ، بهذا الفعل
حتى لدى صحبتك .

أوفديوس : لا حيلة لي بذلك الآن ،
إلا ، إن أنا أعملت الدسيسة ، أن أُعْرِجَ
خطتنا . حتى ازاء شخصي أنا
فإنه يتصرف بكبرياء أشمخ مما حسبه سيفعل
عندما عانقته أول مرة . غير أن طبيعته
في ذلك لا تتقلب . وعليّ أن أغدر
ما يتعذر صلاحه .

ملازم : ومع ذلك ، فيا ليتك يا سيدي -
بالنسبة اليك - لم تشاركه
القيادة ، فكنت إما

ترثس العملية بمفردك ، أو
تتركها له وحده .

أوفديوس : أفهمك حسناً .

عندما يقدّم لنا حسابه ، ثقب أنه لن يعلم
ما الذي بوسعي اتهامه به . فالذي يبدو ،
والذي يظنه - وهو أمر تراه ايضاً
أعين العوام - هو أنه يحسن التصرف في كل شيء ،
ويبدي ادارة طيبة للحكومة الفولسية ،
ويقاتل كالتنين ، ولا يجرد السيف إلا
وينجز . غير أنه قد أهمل
أمرأ سيدق عنقه أو يجازف بعنقي
عندما تزف ساعة حسابنا .

ملازم : سيدي ، ارجوك ، اتعتقد أنه سيقهر روما ؟

أوفديوس : الأماكن كلها تستسلم له قبل ان يبدأ حصارها .
ووجوه القوم في روما ملك يديه .
والشيوخ والأشراف يحبونه كذلك .
الثرقيونات ليسوا جنوداً ، أما شعبهم
فسوف يستعجل الالغاء ، بقدر ما استعجل
طرده من المدينة . يخيل اليّ انه سيكون لروما
كنسر البحر* للأسماك ، يأخذها
بسؤدد الطبيعة . كان أول الأمر
خادماً نبيلاً لهم ، غير أنه لم يستطع
الحفاظ على اتزان منصبه . فسواء أكانت الكبرياء ،
وهي اللوثة التي تفسد كل يوم
حظ الرجل السعيد ، أم خطئ في الادراك ،
يسبب عجزه من التمكن من تلك الظروف التي

(*) انتشرت في عهد شكسبير خرافة عن طير مزعوم اسمه « نسر البحر » (Osprey) تقول انه يسحر الاسماك بطيرانه فوقها ،
فتقلب على ظهرها وتسلم له نفسها لقمة سائغة .

كان هو سيدها ، أم طبيعته
 في ألا يكون إلا شيئاً واحداً ، فلا يتبدل
 في انتقاله من الخوذة الى العرش ، فيقود السلام
 بذلك الاسلوب الصارم الذي به
 تحكّم بالحرب ، ولكن احدى هذه -
 فإن فيه لمحة من كل منها ، ولكن ليس كلّها ،
 وإني لأبرئه بهذا المقدار - جعلته يُهاب ،
 وبالتالي يُعْض ، وبالتالي يُنْفَى : غير أن له مزية*
 تقضي على علته وهي بعد قيد الكلام . وهكذا ، فإن فضائلنا
 انما تكمن في تأويل زماننا لها ،
 والقوة ، مهما تكن حميدة لنفسها ،
 لا قبر لها أوضع من كرسي
 يتغنى بمدحها** النار تطرد بالنار ، والمسمار بالمسمار .
 الحقوق تسقطها الحقوق ، والقوى بالقوى تندحر .
 هيّا ، لنصرف . ايه كايوس ، حين تقع روما بين يديك ،
 تضحي أفقر الجميع أنت ، واذا بك واقع بين يدي !
 (يخرجان)

(*) يقصد شجاعته .

(**) الأبيات السابقة في الأصل مضطربة . ومعناها المجهل هو أن سمعنا بالفضائل رهن بمعاصرينا . والقوة ، مهما اطمأنت الى مزاياها ، فإن طريقها الواضح الى الدمار هو أن تنبأى بهذه المزايا .

الفصل الخامس

المشهد الأول

ساحة عامة في روما

(يدخل منتيوس، وكومنيوس، وسينيوس، وبروتس، وآخرون)

منتيوس : لا ، لن أذهب . لقد سمعتم ما قاله
عن هذا الذي كان يوماً قائده ، وكان يحبه
حباً شخصياً حميماً . دعاني بأبيه ،
ثم ماذا ؟ اذهبوا اليه انتم الذين نفيتموه .
وعلى بعد ميل من خيمته ، خرّوا على الركب وازحفوا
زحفاً الى رحمة . لا ! إن كان يأنف
أن يصغي الى كومنيوس ، فخير لي أن أبقى ببقي .

كومنيوس : بدا كأنه لا يعرفني .

منتيوس : اسمعون ؟

كومنيوس : ولكنه سماني باسمي مرة :
فحلّفته بقديم صحبتنا ، والقطرات التي
نزفناها معاً . رفض الاستجابة
لاسم كريولانس ، ومنع الاسماء كلها .
لكأنه لا شيء ، وبلا لقب ،
الى أن يصوغ لنفسه اسماً من النار التي
ستحرق روما .

منتيوس : أي نعم ، لقد أبدعتها صنعاً !

تريونان اثنان ، كدحا من أجل روما
ليرخصا ثمن الفحم ، ذكرى رائعة !

كومنيوس : ذكرته أن من شيم الملوك ان يعفوا
حين لا يتوقع العفو منهم أحد . فأجاب
ان ذلك مجرد التماس تتقدم به دولة
لرجل انزلت به العقاب .

مونيوس : طبعاً ، وهل له ان يقول أقل من ذلك ؟

كومنيوس : حاولت أن أوقف مشاعره
تجاه اصدقائه المقربين . فكان جوابه لي
انه لا يستطيع التريث لالتقاطهم من كومة
من العُصاف العَفِنِ التّن ، وقال ان من الحماقة
الآ تحرق النفايا من أجل حبة هزيلة أو حيتين ،
ويبقى التّن في الأنف .

مونيوس : من أجل حبة هزيلة أو حيتين !
أنا احدهما . أمه ، زوجته ، طفله ،
هذا الرجل الكريم أيضاً ، نحن حبات القمح ،
وأنتم العُصاف العَفِنِ . ورائحتكم
بلغت حتى القمر : فعلينا أن نُحَرِّقَ من أجلكم .

سسينيوس : صبراً ، أرجوك ، صبراً . ان كنت ترفض العون
في ساعة المحنة هذه ، لا توبّخنا
بما نحن فيه من بليّة . ولكن تأكد .

ان انت رضىت ان تلمس من أجل بلدك ، فإن لسانك الطيّب
قد يوقف ابن بلدنا هذا
أكثر مما يستطيع الجيش الذي نجده على عجل .

مونيوس : لا ، لن أتدخل .

سسينيوس : أرجوك ، اذهب اليه .

مونيوس : وماذا أفعل ؟

بروتس : جَرَبَ فقط ما الذي يستطيع حبك فعله
من أجل روما ، لدى مارسْيوس .

مَنْيُوس : حسناً ، ثم أقول ان مارسْيوس
رَدَّنِي ، كما رَدَّ كومنيوس ،
دون أن يسمعي . ثم ماذا ؟
ولكن كصديق ساخط ، هذه الأسى
لجفوته ؟ هب أن ذاك ما حدث ؟

سَسْنيوس : إلّا أن طيب نيتك
سيلقي الشكر من روما ، بعد أن فعلت ذلك
بأحسن قصد .

مَنْيُوس : سأقوم بالمهمة .
أظن انه سيسمعي . ولكن ما زال يثبط همّي
أنه عَضَّ شفته ودمدم لكومنيوس الكريم .
لم تكن ساعة لقائه موثية : لم يكن قد أكل .
فاذا لم تمتلئ العروق ، كان دماً بارداً ، وعندئذٍ
نَزَمَ بالشفاه تجاه الصباح ، ولا نترع
الى العطاء أو الغفران . ولكن عندما نحشو
انابيب دمننا وقنواته هذه
بالخمر والمأكّل ، نكون أمرن أرواحاً
منّا في صيامنا الكهنوتي . ولذا فلنّي سارقه
الى أن يكون قد تناول ما أريده له من طعام
ثم أتناوشه .

بروتس : انك أدري بالطريق الى كرمه ،
ولن تفضّل طريقك .

مَنْيُوس : سأجرّبه ، وايم الحق ،
كيفما سار الأمر . ولن يطول بي الوقت لأعرف
هل نجحت .
(يُخرج)

كومنيوس : لن يصغي اليه أبداً .

سسينوس : أبداً ؟

كومنيوس : أقول لك ، انه جالس في الذهب ، وعينه
حمراء كأنها تطلب احراق روما ، وقد غدا أذاه
سجّان شفقتة . لقد ركعت أمامه
ولم يقل « انهض » إلا بأخفت الصوت ، وصرفني
هكذا ، بيده الصامتة : ثم أرسل
اليّ ، تحريراً فيما بعد ، ان ما سيفعله ولا يفعله ،
رهن بيمينه بأن يسلم لشروطه* :
ولذا فلا جدوى من الأمل ،
إلا من أمه النبيلة وزوجته ،
اللتين سمعتُ انها تنويان ان تضرعا اليه
ليراف ببلده . فلتنصرف اذن ،
وبأجل الترجي نحثهما على الاسراع .
(يخرجون)

(*) الاسطر الثلاثة الأخيرة مضطربة في النص الأصلي ، ومتناقضة المعنى ، لأن بعض الكلمات قد تحرّف في الطبعة الأولى من « الفوليوب » . ثمة اجتهادات « لتصحيحها » غير ان استقامة المعنى تستوجب تبديل بعض الكلمات . وقد آثرنا ان نترجم النص كما هو ، على اضطرابه .

المشهد الثاني

مدخل معسكر الفولسيين أمام روما، يحرسه حارسان

(يدخل عليهما منتيوس)

حارس أول : قف ، من أنت ؟

حارس ثان : قف ، وارجع .

منتيوس : انكما تحرسان كالرجال . حسنا تفعلان . ولكن اسمحا لي ،
فإني من مسؤولي الدولة ، جئت
لأخاطب كريولانس .

حارس أول : من أين ؟

منتيوس : من روما .

حارس أول : ممنوع المرور ، وعليك ان تعود . فقائدنا
لن يسمع المزيد من هناك .

حارس ثان : سترى مدينتك روما تعانقها النار
قبل ان تخاطب كريولانس .

منتيوس : ايها الصديقان الكريمان ،

ان كتما سمعتما قائدكما يتحدث عن روما

وعن أصدقائه فيها ، فإني أراهن

أن اسمي قد مسّ أذانكما : انه منتيوس .

حارس اول : وليكن . ارجع . فكرامة اسمك
لا تشق طريقاً هنا .

منيسوس : أقول لك يا غلام
ان قائدك حبيبي : لقد كنت دوماً
كتاب مآتيه الحميدة ، يقرأ الناس فيه
عن شهرته التي لا تضاهي ، ومكبرة أحياناً ،
لأنني دوماً أسند أصدقائي ،
وهو كبيرهم ، لأقصى حدود الصدق ،
حتى يكاد الصدق يضطرب فيهم . بل انني احياناً
أشبه بكرة تقذف على ارض مائلة
أنعذى الهدف ، وفي مدحي اياه
أكاد أختم على ما زعمت . ولذا ، يا غلام ،
يجب ان تسمح لي بالمرور .

حارس اول : ثق سيدي ، انك لو قلت من الأكاذيب عنه بعدد ما نطقت من كلمات عن
نفسك ، فإنك لن تمر هنا . لا ، حتى ولو كان الفجور بفضيلة العفة .
ولذلك ، ارجع

منيسوس : أرجوك يا غلام أن تتذكر أن اسمي منيسوس ، ومن المتحزين دائماً لقائدك .
حارس ثان : مهما تكن من كاذبيه ، كما تقول ، فإنني مأموره بالصدق ، وعليّ
أن أقول لك : لا تستطيع المرور ، ولذلك ، إرجع !
منيسوس : هل تعلم ان كان قد تناول عشاءه ؟ لأنني لن أخاطبه إلا بعد العشاء .

حارس أول : أنت روماني ، ألسن كذلك ؟

منيسوس : نعم ، كفائدك .

حارس أول : اذن عليك ان تمقت روما ، مثله . ان كنتم قد دفعتم بحامي ابوابكم إلى
خارجها ، وفي جهل شعبي عنيف سلمتم ترسكم لعدوكم ، هل تحسبون
ان بوسعكم مجابهة انتقاماته بالاناث البسيرة من عجائزكم ، والأكف
العدراء من بناتكم ، أو بشفاعة مشلولة من خرف متهرىء مثلك ؟ انحسب
أن بوسعك أن تطفىء النار المنوية لمدينتكم المهية للاحتراق بها بنفس واهن
كهذا ؟ لا ، إنك مخدوع . ولذا ، عد الى روما ، وتهبأوا لاعدائكم : لقد

أدّنتم ، وقائدنا قد أقسم أنه لن يغيّر حكمه عليكم ولن يعفو عنكم .
مّنيوس : يا رجل ، لو علم رئيسك بوجودي هنا ، لعاملني بالتقدير والحسنى .
حارس ثان : هيا ، فإن رئيسي لا يعرفك .
مّنيوس : اقصد قائدك .

حارس أول : قائدي لا يهمه امرك . ارجع ، اقول لك ، اذهب . وإلا سكبت كوب
دمك . ارجع - هذا! أقصى ما ستنال : ارجع .
(يدخل كريولانس وأوفديوس)

كريولانس : ما الأمر ؟

مّنيوس : والآن ، ايها الرفيق ، سأتوسط أنا لك ، ولسوف تعلم انني محل تقدير ،
وتدرك أن مجرد غلام حارس لن يحجبني بوظيفته عن ابني كريولانس .
وتأمل ، باستقباله لي ، كيف انك ستكون أهلاً للشئ ، أو لينة أطول
مشاهدة ، وأقصى معاناة . انظر الآن ، حالاً ، وسيغمى عليك لما سوف
يصيبك . (لكريولانس) ألا اجتمعت الآلهة كل ساعة لتوفيقك ، وأحيتك
جاً لا يقل عن حب الشيخ ابيك مّنيوس لك ! آه يا بني ، يا بني ! انك تعدّ
لنا النار . انظر ، هنا ماء لاطفائها . ما دفعت للمجيء اليك إلا بصعوبة .
ولكن إذ تيقنت ألا أحد يستطيع التأثير فيك سواي ، فقد حملتني التهنيدات
الى خارج أبوابك ، وإني لاستحلفك ان تعفو عن روما ، وعن مواطنيك
الضارعين اليك . أطفأت الآلهة الكريمة نار سخطك ، وصبت الخثالة على
هذا النذل الحقير هنا ، هذا الذي كالحشبة الصماء رفض ان يصل بي اليك .

كريولانس : انصرف !

مّنيوس : نعم ؟ انصرف ؟

كريولانس : اني لا أعرف زوجة ، ولا أمّاً ، ولا ولداً . وشؤوني
هي في خدمة الآخرين . ولئن يكن حقي
في انتقامي ملك يدي ، فإن التنفيذ
رهن بصدور الفولسيين . أما كوننا متعارفين
فإن عقوق الناسين يسمعه ، اكثر مما

يهم الشفقة ان تعرف مداه . ولذا ، فاذهب .
ان اذنيّ إزاء توسلاتك أصلب
من ابوابكم إزاء قوتي . ولكن ، لأنني كنت أحبك
خذ هذه معك (يسلمه رسالة) . لقد كتبها من أجلك
وكنت سأرسلها . أما كلمة أخرى منك ، يا منتيوس ،
فلن أسمع . هذا الرجل ، يا اوفديوس ،
كان حبيبي في روما . أفترى ؟

افديوس : إنك ثابت في عزمك .

(يخرج كربولانس وأوفديوس)

حارس اول : والآن يا سيدي ، هل اسمك منتيوس ؟

حارس ثان : أترى ؟ انه رقية عظيمة المفعول ! اتعرف الطريق الى بيتك ثانية ؟

حارس اول : اسمعت الزجر الذي لقيناه لأننا منعنا عظمتك من الدخول ؟

حارس ثان : هل من سبب ، في رأيك ، لاغمائي الآن ؟

منتيوس : لا يهمني شيء من أمر الدنيا ، ولا من أمر قائدكم أما المخلوقات التي
ملكها ، فإني أكاد لا أقر بوجودها ، لتفاهتها . من له العزم على الموت
بنفسه ، لن يخشاه من آخر . فليفعل قائدكم أسوأ ما بوسعه . أما انتها ،
فلتطل بكما الحياة ، وليشتد بكما الشقاء مع طول العمر ! ولكما أقول ، ما
قيل لي : انصرفا !

(يخرج)

حارس اول : من كرام الناس ، ولا ريب .

حارس ثان : انما الرجل الفاضل قائدنا . انه الصخرة ، انه السنديانة التي لا تهزها
الريح .

(يخرجان)

المشهد الثالث

خيمة كريولانس

(يدخل كريولانس وأوفديوس وآخرون)

كريولانس : أمام أسوار روما ، غداً ،
سنضع جيشنا . فيا شريكى في هذا العمل
ينبغي أن تجرب السادة الفولسين بمدى صراحتي
في القيام بهذه المهمة .

أوفديوس : ما التزمت إلا بأهدافهم .
سددت أذنيك عن
التماس جميع من في روما ، ولم ترض
بهمسة خاصة ، لا ، حتى من أصدقاء لك
كانوا يحسبون انهم واثقون منك .

كريولانس : هذا الشيخ الأخير
الذي ارسلته إلى روما بقلب مصدوع ،
كان يحبني حباً يربو على حب الوالد لابنه ،
بل انه كان ، في الواقع ، يؤلّمني . وكان آخر ملجأ لهم
ان يرسلوه إليّ ، ومن اجل حبه القديم ،
وان بدوت عابساً له ، قدمت ثانية
الشروط الأولى التي رفضوها أصلاً ،
ولن يسعهم قبولها الآن . وكبيرا أكرمه فقط .

هذا الذي حسب انه يقدر على المزيد ، سلّمته
شيئاً زهيداً جداً . وأية سفارات أو التماسات جديدة ،
من الدولة كانت أم من خواص الأصدقاء ،
فإنني بعد اليوم لن أعيرها أذنأ صاغية .

(صراخ من الداخل)

ها ! ما هذا الصراخ ؟
هل سأغرى على الاخلال بعهدي
في الساعة التي قطعته فيها على نفسي ؟ أبداً !
(تدخل في ثياب الحداد فرجيليا ، وفولومنيا ،
وهي تقناد مارسسيوس الصغير ، وفاليريا ، ومرافقات)
زوجتي تتقدم الجميع ، ثم صاحبة القالب المصون
الذي صيغ فيه جذعي هذا ، وييدها
حفيد دمها . ولكن اليك عني أيها العطف !
وليتكسر كل قيد وحق تفرضه الطبيعة !
وليكن العناد فضيلة .
ما قيمة تلك الانحناءة ؟ أو أعين الحمام تلك ،
التي بوسعها أن تجعل الألهة تحث في يمينها ؟ اني أذوب ،
وما أنا بتراب أصلب من الآخرين . أمني تنحني !
كانما جبل الأولمب ينحني ضارعا
لكومة تراب صغيرة ، وابني الحدث
يتشفع بوجه تصرخ له
الطبيعة العظيمة « لا ترده ! » دع الفولسين
يحرقون روما ، ويعذبون ايطاليا . لن أكون أبداً
فرخ أوزة ينصاع للغريزة ، بل سأقف
كأن الإنسان هو صانع نفسه ،
ولم يعرف قط قربى دم بأحد .

فرجيليا : سيدي وزوجي !

كريولانس : ما هاتان بالعينين اللتين كانتا لي في روما .

فرجيليا : ان الحزن الذي يأتي بنا وقد تغيرنا
هو ما يجعلك تظن ذلك .

كريولانس : أشبه بممثلٍ بليد
نسيت الآن دوري ، وجعلت أخطيء ،
وزرايتي تامة . يا خيرَ جسدي ،
اغفري استبدادي ، ولكن لا تقولي ،
تبعاً لذلك ، « اغفري للرومان ذنوبنا » . آه ، قبله
طويلةً كنفي ، عذبةً كانتقامي !
والآن قسماً بملكة السماء الغيرى الغضوب* ، تلك القبلة
حملتها منك ، يا عزيزتي ، وبقيت شفتي الوفية
عذراء منذ الساعة تلك . يا آلهة ! إني اثرثر
وأدع أنبل أم في الدنيا
دوغما تحية . غوري ، يا ركبتني ، في الأرض
(يركع)

وأبدي أثراً لعميق واجبك أكبر مما
يبيديه عامة الأبناء .

فولومنيا : انهض مباركاً ! (تنهضه)
فيما أركع أنا أمك على وساد
ليس انعم من الصوّان ، وأبدي الواجب
لا كما ينبغي ، اذ أخطأنا الفهم طيلة هذا الوقت ،
بين الوالد والولد .

(تركع)

كريولانس : ما هذا ؟
أتركعين ، لي ؟ لابنك المعاقب ؟
اذن فلتضرب حصي الشاطئ الجائع
النجوم والكواكب ، ولتقذف متمردات الرياح

(*) أي جنو ، زوجة زيوس ، حامية الزواج ، والمتنقمة من أهل الحياة الزوجية .

شوامخ الأرز بوجه الشمس اللاهبة ،
قائلة كل مستحيل ، لتجعل
أمرأ هيناً من كل ما لا يمكن أن يقع .

فولومنيا : انك محاري :
انا كنت العون في صنعك . اتعرف هذه السيدة ؟

كريولانس : انها النبيلة أخت بيليكولا* ،
بدر روما . عفيفة كقطرات الماء
التي يكتفها الصقيع من أنقى الثلج
وتتدلى من هيكل ديانا : العزيزة فاليريا !

فولومنيا : وهذا خلاصة مسكينة لك ،
وعندما يتم له تأويل الزمن
قد يشبهك كل الشبه .

كريولانس : (لابته) أفعم افكارك نبلاً رب الجنود
برضا من العلي جويتر ! عسى أن تثبت
ان العار لا يدانيك ، وتصمد في الحروب
كمعلم بحري عظيم ، تقاوم الزوايح
وتنقذ كل من تقع عينه عليك !

فولومنيا : على ركبتيك يا ولد !
كريولانس : ولدي الرائع !

فولومنيا : هو ، وزوجتك ، وهذه السيدة ، وأنا ،
كلنا ضارعون لديك .

كريولانس : أتوسل اليك ، ألا تتكلمي .
أو ، ان كنت ستصرين ، ان تذكرني هذا أولاً :
ان ما أقسمت ألا أهبه أحداً ، عليك ألا
تعتبرينه رفضاً لك أنت . لا تطلي الي

(*) الغريب أن فاليريا ، رغم وجودها في هذا المشهد ، لم يعطها شكسبير كلمة واحدة تقوها . في « بلوتارك » نجد ان فاليريا هي
التي تقترح على فولومنيا فكرة هذه الوساطة . غير أن شكسبير يركز اهتمامنا كله في فولومنيا وابنها .

ان اصرف جنودي ، أو أن أوقع شروطاً
ثانية مع صناع روما . لا تخبريني
ما الذي أبدو فيه خارجاً على الطبيعة . ولا ترغبي
في تخفيف غضباتي ونفماتي
بحججك القريرة .

فولومنيا : آه ، كفى ، كفى !
لقد قلت أنك لن تهينا أي شيء .
فما لدينا أي شيء آخر نطلبه ، سوى
ما رفضته سابقاً . ومع ذلك ، فسنطلب .
فإن خذلتنا فيما نطلب ، وقع اللوم
على قسوتك . ولذلك ، اسمعنا .
كريولانس : اوفديوس ، وانتم يا فولسيون ، انتبهوا .
لأننا لن نسمع شيئاً من روما في خلوة عنكم .
(لأمه) مطلبكن ؟

فولومنيا : لو سكنتنا ولم ننطق ، لكان في ثيابنا
وحالتنا الجسدية ما يفصح عن الحياة التي
عشناها منذ نفيك . قدّر لنفسك
كيف أننا أشقى نساء الأرض كلهن
اذ جئنا هنا : لأن مرآك الذي يجب
أن يُقرّ عيوننا فرحاً ، ويُرقص قلوبنا سلوى ،
يرغمها على البكاء والوجيب هلعاً وحزناً ،
جاعلاً الأم والزوجة والولد يرون
الابن والزوج والأب يقرر
أحشاء بلده . ولنا نحن المساكين
عداؤك رهيب الضراوة ، فأنت تحجب عنا
الصلاة للآلهة ، وهي سلوى
يتمتع بها الجميع إلاناً . وأنى لنا ،
والأسفاه ، أنى لنا أن نصلي من أجل ديارنا ،

ونحن بها مرتبطون ، ومن اجل انتصارك ايضاً ،
ونحن بك مرتبطون ؟ واحرّ قلباه ! إمّا أن نفقد
ديارنا ، مطعمتنا العزيزة ، أو شخصك انت ،
عزاءنا في ديارنا . لن تلقى إلا
البلاء الأكيد ، حتى لو أعطينا
أمانينا ، سواء أكان الظفر لهذا الجانب أو ذاك .
فإمّا أن تُقَاد كخائن مع الأجنبي
مغلولاً في شوارعنا ، أو أن
تطأ منتصراً خرائب موطنك
وتحمل سعة النصر لأنك ببسالة سفكت
دم زوجتك وأطفالك . أما أنا يا بني ،
فلا أريد ترقب المصير حتى
تنتهي هذه الحروب : ان أنا عجزت عن اقناعك
بإظهار الحِلْم النبيل لكلا الفريقين ،
عوضاً عن طلب النهاية لأحدهما ، فإنك حالماً
ترحف للهجوم على بلدك لسوف تدوس
(ولكن اثق انك لن تفعل ذلك) على رحم امك
التي انجبتك في هذه الدنيا .

فرجيليا : أجل ، ورحمي أنا ،
التي انجبت هذا الصبي ، لحفظ اسمك
حيّاً على مرّ الزمن .

الصبي ماركسيوس : لن يدوس عليّ أنا
سأهرب الى ان اكبر ، ثم أقاتل .

كريولانس : من أراد ألا يكون في رقة امرأة ،
وجب عليه ألا يرى وجه طفل أو امرأة .
لقد أطلت الجلوس .

(ينهض)

فولومنيا : لا ، لا تذهب عنا هكذا .

لو أن مطلبنا فحواه
 انقاذ الرومان ، وبالتالي تدمير
 الفولسيين الذين تخدمهم ، لحق لك شجبنا
 كلوثة لشرفك . كلاً . ان التماسنا
 هو أن توفق بينهما . فبينما قد يقول
 الفولسيون « هذه الرحمة أبديناها » ، يقول
 الرومان « هذه تلقيناها » ، فيتجه لك الجميع
 من كلا الجانبين بالتحية ، ويصيحون « بورك
 لايجادك هذا السلام ! » انت تدري يا بني
 ان نهاية الحرب مشكوك فيها ، ولكن هذا لا شك فيه ،
 وهو ان انت فتحت روما ، فالفائدة التي
 ستجنيها لن تكون إلا اسماً
 يُرَدَّد ويُلْحَق باللعنات ،
 سَطَّر تاريخه هكذا : « كان الرجل نبيلاً ،
 ولكنه محا نبيله بفعلته الأخيرة ،
 ودمر بلده ، وبقي اسمه
 بغضباً للأزمان اللاحقة » . حدثني يا بني :
 لقد احببت دوماً دقائق الشرف
 واقتديت بمروءات الآلهة :
 فتمزق بالرعد خدود الفضاء العريض ،
 ولكن تُحْمَلُ كبريتك نصلاً
 لا يشق إلا مجرد سديانة* . لم لا تتكلم ؟
 أحسب أن شرف المرء النبيل يقتضي
 أن يذكر الأخطاء دائماً ؟ تكلمي انت ، يا ابنتي .
 بكاؤك لا يهمه . تكلم انت ، يا ولد .
 لعل طفولتك تفعل فيه .
 اكثر من حججنا . ما عرفت رجلاً في الدنيا .
 اوثق ارتباطاً بأمه ، ورغم ذلك فإنه يدعني أثرثر

(*) اي مثل جوبيتر ، رب الرعود .

كمن وضع في الدهق* . قطّ في حياتك
 لم تُظهر لأملك العزيزة أية مجاملة .
 في حين أنها ، هذه الدجاجة المسكينة ، اذ زهدت في فرخِ ثان ،
 كانت تُفرّق رعاية لك ذاهباً الى الحروب ، وعائداً منها بالسلامة ،
 محملاً بالمجد . قل ان مطلبي غير عادل ،
 وازجرني عنك . ولكن اذا لم يكن كذلك ،
 فإنك غير صادق ، ولسوف تعذبك الآلهة
 لأنك تحجب عني الواجب الذي
 ينتمي الى دور كل أم . انه يشيح بوجهه .
 اركعن يا سيدات ، لنخجله بُرُكينا .
 الى لقبه كريولانس تنتمي الكبرياء
 اكثر مما تنتمي الرحمة الى توسلاتنا . إركعن . ختاماً .
 هذه المرة الأخيرة ومن ثم نعود الى بيتنا في روما ،
 ونموت بين جيراننا . ولكن انظر الينا .
 هذا الولد الذي لا يعرف ماذا يريد .
 وإنما يركع ويرفع يديه أسوة بنا ،
 يمتطى طلبنا بقوة أعظم
 من قوة حجتك في رفضه . هلموا ، لنصرف .
 هذا الرجل كانت أمه فولسية
 وزوجته تقيم في كريولي ، ولعل ابنه
 مثله . اسمح لنا بالعودة .
 سأسكت حتى تلتهب مدينتنا ،
 وعندئذٍ سأتكلم قليلاً .
 (كريولانس يمسكها من يدها، صامتاً)

كريولانس : اماء ، اماء !
 ما الذي فعلت ؟ انظري السماوات تنشق ،
 والآلهة تطلّ ، وتضحك على هذا المشهد

(*) « الدهق » اقرب الكلمات في العربية الى آلة تعذيب من خشب فيها ثقب يحبس فيها بدا المرء وقدماء ، وربما عنقه . فلا
 يستطيع إلا الشكوى .

المتافي للطبيعة ! آه يا أماء ، أماء !
لقد أحرزت نصراً سعيداً لروما .
أما ابنك ، فصديقي ، صديقي ،
ما حققت ما تبغين منه إلا لأعظم الخطر عليه ،
بل لما قد يُلقيه حتفه . ولكن ، ليُقدم .
أوفديوس ، لئن أعجز عن شن حروب حقيقية ،
فلسوف أصنع سلماً ملائماً . أوفديوس ، أيها الكريم ،
لو كنت مكاني ، هل كنت تصغي الى امك
أقل مما اصغيت ، أو تهبط أقل مما وهبت ؟ أوفديوس ؟
أوفديوس : لقد تأثرت .

كريولانس : اقسم أنك تأثرت .
ويا سيدي ، ليس بالأمر اليسير
ما يجعل عيني تنفصّدان رحمة . ولكن ، سيدي الفاضل ،
أخبرني ، أي سلم تريد تحقيقه . أما أنا
فلن أذهب الى روما ، بل أعود معك . وأرجوك ،
أن تساندني في هذه القضية . أماء ! زوجتي !

أوفديوس : (جانبيّاً) أفرحتني بأنك جعلت رحمتك وشرفك .
على طرفي نقيض فيك . ومن ذلك سأعيد
لنفسي سابق مكانتها .

(توميء النساء لكريولانس)
كريولانس (للنساء :) أجل ، مهلاً ، مهلاً .
ولكن لشرب معاً ، فتحملن معكن
شاهداً أفضل من الكلمات
سنختمه من ناحيتنا بشروط مماثلة .
تفضلن . وأدخلن . ايته السيدات ، ليليقن
أن يُبنى لكنّ هيكل : فهذا السلام
ما كانت تستطيع تحقيقه سيوف إيطاليا كلها
ولا جيوشها المتحدة بأجمعها .
(يخرجون)

المشهد الرابع

ساحة عامة في روما

(يدخل منتيوس وسسنيوس)

منتيوس : اترى ذلك الركن من الكابيتول ، حجر الزاوية ذاك ؟

سسنيوس : وما شأنه ؟

منتيوس : ان امكنتك ازاحتة باصبعك الصغير ، فإن ثمة أملاً في أن سيدات روما ، وعلى الأخص أمه ، سيفلحن في اقناعه . ولكنني أقول : لا أمل البتة ، لقد حكم على اعناقنا ، وهي تنتظر التنفيذ .

سسنيوس : هل من الممكن ان وقتاً قصيراً كهذا بوسعه تغيير حالة المرء ؟

منتيوس : ثمة فرق بين الشرقة والفراشة . ولكن الفراشة كانت شرقة . ومارسيوس هذا قد تطور من انسان الى تنين : ان له اجنحة ، واكثر من زاحف واحد .

سسنيوس : كان يُعزّ أمه جداً .

منتيوس : ويُعزّي أنا أيضاً ؛ ولكنه الآن لا يذكر أمه ، اكثر مما يذكر أمه حصان عمره ثمانى سنوات . هموضة وجهة تحمّض انضج العنب . عندما يمشي ، فإنه يتحرك كألة حربية ، فتتشعر الأرض تحت خطوه . باستطاعته ان يحرق درعاً بعينه . يتحدث كجرس الموتى ، وهممته هجوم . وهو يجلس على عرشه كأنه شيء يمثل الاسكندر . ما يأمر بصنعه ، يكفل فور أمره . ولا ينقصه عن الإله سوى الخلود ، وسواء يجعل عرشه فيها .

سسنيوس : أجل ، والرحمة ، ان كان وصفك له صادقاً .

مننيوس : اني أرسمه كما هو في خلقه . انظر أية رحمة ستأتي بها أمه منه . ان يكن في النمر
الفحل حليب ، فإن فيه رحمة . هذا ما سوف تجده مدينتنا المسكينة ، وكل
ذلك بسبيكم .

سسنينوس : حفظتنا الآلهة !

مننيوس : لا ، في مثل هذه الحالة لن نحفظنا الآلهة . فعندما نفيناها ، لم نحترمها . واذ
يعود ليدق أعناقنا ، فإنها لن نحترمنا .

(يدخل رسول)

رسول : سيدي ، اذا اردت النجاة بحياتك ، أهرب الى بيتك .
لقد أمسكت الجماهير بالتريون زميلك ،
وراحت ترفعه وتحطّه ، مقسمة
اذا لم تعد السيدات الرومانيات بما يروح عنها ،
فإنها ستذيقه الموت بالقيراط .

(يدخل رسول ثان)

سسنينوس : ما الخبر ؟

رسول ثان : خبر سار ، خبر سار ! لقد وقفت السيدات ،
ورفع الفولسيون معسكرهم ، وذهب مارسيسوس .
ما سعدت روما قط بيوم أرح ،
حتى عندما طردت آل طاركوين .
سسنينوس : أوافق أنت بصحة هذا ، يا صديق ؟ أوافق جداً ؟

رسول : واثق ثقني بأن الشمس نار لاهبة .
اين كنت قابعاً ، فتشكّ فيه ؟
ما دفع تيار زاخر خلال قنطرة جسر
كما دفع الأناس الفرحون خلال أبواب المدينة . اسمع !
(أبواق ، مزامير ، طبول تدق ، كلها معاً)
الأبواق ، المزامير ، السنطور ، الناي ،
الدفوف والصنوج ، وصيحات الرومان :
كلها تجعل الشمس ترقص . اسمع !

(صباح من الداخل)

مونيوس : هذا خير سار .
سأذهب لاستقبال السيدات . فولومنيا هذه
تساوي من القناصل والشيوخ والأشراف
ملء مدينة بكاملها ، ومن امثالكم
ملء البحر والبر . لقد أحستتم الصلاة اليوم :
فهذا الصباح ما كنت لأشتري عشرة آلاف
من رقابكم بفلس واحد . اسمع كيف يهزجون !

(من الداخل ، موسيقى مستمرة وصباح)

سسينيوس : أولاً ، باركت الآلهة فيك لأنبائك ، وثانياً ،
تقبل جزيل شكري .

رسول ثان : سيدي ، لدينا كلنا
ما يدعونا الى جزيل الشكر .

سسينيوس : هل اقتربن من المدينة ؟

رسول ثان : على وشك دخولها .

سسينيوس : سنستقبلهن ، ونساهم في الفرح .

(يخرجون)

المشهد الخامس

شارع قرب باب المدينة في روما

(يدخل شيخان مع فولومنيا، وفرجيليا، وفاليريا، والأخريات
ويمرّ الجميع عبر المسرح، يلحقهم الأشراف، وآخرون)

شيخ أول : اليكم نصيرتنا ، حياة روما !
ادعوا أحزابكم جميعاً ، احمداؤا الآلهة ،
واشعلوا نيران الظفر . انثروا الزهور أمامهن .
أصمتوا الضجيج الذي نفى مارسيسوس ،
وأعيدوه بترحيبكم بوالدته ،
وصيحوا : « مرحباً بالسيدات ، مرحباً ! »

الجميع : مرحباً بالسيدات ، مرحباً !

(صدح أبواق وقرع طبول)

المشهد السادس

ساحة عامة في مدينة انتيوم

(يدخل تلوس أوفديوس ، مع مرافقين)

أوفديوس : اذهبوا واخبروا سادة المدينة أنني هنا .

سلموهم هذه الورقة . وإذا ما قرأوها

اطلبوا اليهم أن يذهبوا الى ساحة السوق ، حيث

سأشهد على صدقها في أذانهم

وآذان العوام جميعاً . اني أتهمه

بأنه قد دخل ابواب المدينة بهذه ،

ويقصد الى الظهور أمام الشعب ، مؤملاً

أن يطهر نفسه بالكلمات . أسرعوا !

(يخرج المرافقون)

(يدخل ثلاثة متآمرين أو أربعة من حزب أوفديوس)

أهلاً بكم

متآمر أول : كيف الأمور مع قائدنا ؟

أوفديوس : إني أشبهُ برجلٍ سَمَّمته صَدَقَتُهُ

وَنَحَرَهُ إِحْسَانُهُ .

متآمر ثاني : سيدي الأكرم ،

ان انت ما زلت على النية نفسها التي

أردت إشراكنا فيها ، انقذناك

من خطرِكَ العظيم .

أوفديوس : لست أدري يا سيدي .
علينا بالسير قُدماً وفق ما نرى الشعب عليه .
متآمر ثالث : سيقى الشعب في شك ما دام
الخلاف بينكما . غير أن سقوط أي منكما
سيجعل الآخر وارثاً لكل شيء .
أوفديوس : أدري .

وحجتي في ضربه تتحمل
حسن التأويل . أنا أنهضته ، وأنا راهنت
بشرقي على وفائه . وحينها علا بذلك
راح يسقي نباتاته الجديدة بندى النفاق ،
غاوياً بذلك أصدقائي . ولغايتة هذه
وضع من طبيعته ، وهي التي لم يعرف عنها سابقاً
سوى أنها فظة ، جموحة ، طلفة .
متآمر ثالث : سيدي ، ان عجرفته
يوم رشح نفسه للمقنصلية ، التي فقدتها
لعدم اتضاعه ..

أوفديوس : ذاك ما كنت سأتكلم عنه .
وحين أبعدوه لذلك السبب ، جاء الى موقدي ،
وسلم عنقه لسكيني ، فأخذته ،
وجعلته شريكاً لي ، وفسحت له الطريق
في رغبته كلها . بل انني جعلته ينتقي
من بين جنودي ، تنفيذاً لمأربه ،
أفضل رجالي وأنصرهم . وخدمت خططه
بشخصي أنا ، وأعنته في ان يجني الشهرة
التي جعلها كلها لنفسه ، وفاخرت شيئاً
بأن أجحف في حق نفسي هكذا ، الى أن جعلت
في النهاية أبدو تابعاً ، لا شريكاً له ،
وأخذ يدفع لي اجري بحياته ، كأني
من المرتزقة .

متآمر أول : هذا ما فعله يا مولاي .

وقد دهش له الجيش ، وفي نهاية الأمر ،

وقد انتهى من أخذ روما ، وأحرزنا

ما توقعناه من غنائم لا تقلّ عن المجد

أوفديوس : هناك النقطة ،

حيث ستمتد عضلاتي عليه .

لقاء بضع قطرات مما تُجْريه أعينُ النساء ،

وهي بخسة كالأكاذيب ، باع كل ما في عملنا العظيم

من دم وعناء . ولذلك ، يجب أن يموت ،

ويسقطه أجدد نفسي . ولكن ، أصغوا !

(أصوات طبول وأبواق، وصيحات عظيمة من الشعب)

متأمر أول : مدينتك ومسقط رأسك دخلتها أنت كساعي بريد ،

ولم يرحب بك أحد لعودتك . أما هو ، فيعود

والضوضاء تشق عنان السماء .

متأمر ثانٍ : والحمقى الصابرون

الذين قتل هو أطفالهم ، يمزقون حناجرهم

بتمجيده .

متأمر ثالث : ولذا ، ابتهل فرصتك ،

قبل أن يعبر عن نفسه ، أو يؤثر في الناس

بما سيقوله ، ودعه يستشعر سيفك ،

فنعيد الكرة نحن عليه . واذ يقع أرضاً

فإن الحكاية التي سترويها على طريقتك ستدفن

حججه مع جسده .

أوفديوس : امسكوا عن الكلام .

السادة قادمون .

(يدخل سادة المدينة)

سادة : نرحب بك أجل الترحيب في مدينتك .

أوفديوس : لا أستحق ذلك .

ولكن أيها السادة الكرام ، هل قرأتم بعناية

ما كتبت لكم ؟

سادة : نعم .

سيد أول : ويؤسفنا سماعه .

يُحْيَلُ إِلَى أَنْ الأخطاء التي ارتكبها ، قبل خطئه الأخير ،
ربما قوبلت بغرامات يسيرة . أما أَنْ ينتهي
إلى حيث كان عليه أَنْ يبدأ ، ويهدر
فوائد الجيش الذي جندناه ، جازياً إيانا
بنفقاتنا ذاتها ، وعاقداً معاهدة حيث
ثمة استسلام ، فإنه أمر لا عذر له فيه .
أوفديوس : هذا هو قادم . لسوف تسمعونه .

(يدخل كريولانس ، في مسيرة عسكرية
مع الطبول والبيارق ، ومعه جمهور من العوام)

كريولانس : سلاماً ايها السادة ! إني أعود جندبكم
لا يعدوني حبٌ بلدي أكثر
مما عداني يوم غادرته ، وما زلت مقيماً
رهنَ إمرتكم الجليلة . عليكم ان تعلموا
انني حاولت وأفلحت ،
وقدت حروبكم في خلال الدم حتى
أبواب روما . وما عدنا به من غنائم
يعادل أكثر من ثلث كامل
من نفقات العملية . لقد عقدنا سلفاً
فيه من الشرف العظيم للأتنياتين بقدر ما فيه
من عظيم العار للرومان . وها نحن هنا نسلم
ما اتفقنا عليه ، موقعاً من القناصل والأشراف
وممهوراً بختم الدولة .

أوفديوس : لا تقرأوه ، ايها السادة النبلاء !
بل قولوا للخائن ، إنه قد أساء استعمال
سلطاتكم ، لأقصى ما يكون السوء !

كريولانس : خائن ؟ ما هذا ؟

أوفديوس : أجل ، خائن ، يا مارسْيوس !

كريولانس : مارسْيوس !

أوفديوس : أجل ، مارسْيوس ، كايوس مارسْيوس : أفتحسب

أنني سأكرمك بتلك السرقة - بلقبك

كريولانس الذي نهبته في كربولي ؟

أيها السادة ويا رؤساء الدولة ، لقد خان

أمانتكم وملأوه اللؤم ، ولقاء

بضع قطرات من الملح سلّم مدينتكم روما -

أقول « مدينتكم » - لزوجته وأمه ،

ناقضاً عهده وعزمه ،

كخيط من حرير متهرّء ، رافضاً دوماً

شورى الحرب . غير أنه عند مرأى دمع من أرضعته

تأوه وزأر ملقياً عنه بانتصاركم ،

حتى أحرّ الصبية خجلاً ، وراح ذوو المروءة

يتبادلون نظرات الدهشة والعجب .

كريولانس : أسمع يا مارس ؟

أوفديوس : لا تذكر الإله ، يا صبي الدمع !

كريولانس : ها !

أوفديوس : ليس إلّا !

كريولانس : يا كذاباً لا حدّ لكذبه ، جعلت قلبي أضخم

من أن يُحتوى في صدري يا غلام ! يا عبد !

المغفرة أيها السادة . هذه أول مرة

أضطر فيها الى الزجر والتعنيف . حكمكم ، سادتي الموقرين ،

يجب ان يكذب هذا الجرو : وادراكه -

هذا الذي يلبس آثار ضرباتي مطبوعة فيه ،

والذي عليه تحمّل ضربي حتى لحده - سيشارك

في قذف القرية بوجهه .

سيد أول : صمتاً ، كليكما ، واسمعاني اتكلم .

كريولانس : قطعوني ارباً ، أيها الفولسيون . أيها الرجال والفتيان ،

لطفخوا شفرانكم جميعاً . يا غلام ! يا كلباً غير وفي !
ان كنت كتبت تاريخكم بصدق ، تجد فيه
أنني ، كالنسر في برج الحمام ،
هجت قومك الفولسين في كريولي :
ووحدي فعلت ذلك . يا غلام !

أوفديوس : ماذا يا كرام ؟

اتريدون ان يذكركم هذا المتبيح الذميم
بخطئه العشوائي الذي كان عاراً عليكم ،
أمام أعينكم وأذانكم ؟

كل المتأمرين : ليكن جزاؤه الموت !

كل الشعب : مزقوه ارباً! مزقوه الآن !

لقد قتل ولدي ! قتل ابنتي ! قتل ابن عمي
ماركوس ! قتل أبي !

سيد ثانٍ : صمتاً يا ناس ! لا تعدي ! صمتاً !

هذا رجل كريم ، وان شهرته لتطبق
آفاق كرة الأرض هذه . أما سيئاته الأخيرة الينا
فسوف يحاكم عليها . قف يا أوفديوس ،
ولا تعكر صفو السلام .

كريولانس : ليتني أقارعه ،

بسته مثله ، بل وأكثر ، بعشيرته كلها ،
واستعمل سيفي المشروع .

أوفديوس : ايها النذل الوقح !

كل المتأمرين : اقتلوه ، اقتلوه ، اقتلوه ، اقتلوه !

(أوفديوس والمتأمرين يشهرون سيوفهم ويقتلون كريولانس
ويقف أوفديوس على جثته)

السادة : كفى ، كفى ، كفى ، كفى !

أوفديوس : سادتي الكرام ، اسمعوني اتكلم .

سيد أول : آه يا تلوس ..

سيد ثان : لقد فعلتَ فعلةً تبكي لها الشجاعة .

سيد ثالث : لا تدس عليه . أهدأوا يا سادة .

أغمدوا سيوفكم .

أوفديوس : سادتي ، عندما تعلمون - ولكنكم في سخطكم هذا ،

وقد استفزكم ، لا تعلمون - الخطر العظيم

الذي كانت حياة هذا الرجل تحبته لكم ، ستفرحون

لمصرعه هكذا . فإن شئتم سيادتكم

ان تدعوني الى مجلس شيوخكم ، سأبرهن

أنني خادمكم الوفي ، أو ألتقى

أشد انتقادكم .

سيد أول : احملوا جثمانه من هنا ،

واندبوه : وليبجل

كأنبل رفات شيعه النعاة

الى مثواه

سيد ثان : ان ضيق صدره

ليخفف معظم اللاتمة عن أوفديوس .

فلنستفد من ذلك .

أوفديوس : لقد زال غضبي ،

وأصابني الآن الأسى . ارفعوه

ثلاثة من رؤساء الجند ، ساعدوني ، سأكون واحداً منكم .

وأنت ، اقرع الطبل ، لينطق حزيناً راثياً .

اسحبوا رماحكم* . لئن يكن في هذه المدينة

قد رمل وتكلم الكثيرات ،

فرُحِنَ يبكين احزائهن حتى هذه الساعة ،

فإنه سيقام له نصب نبيل** .

ساعدوني .

يخرجون ، حاملين جثمان كربولانس

ويعزف لحن مسيرة جنازية .

(*) وذلك بأن تحفض قناة الرمح ، ويمسك من النصل .

(**) لا يكاد الفعل يقع حتى يندم عليه فاعله في الكثير من الجرائم في مسرحيات شكسبير . وقد كان لأوفديوس ما يبرر هذا الندم

في ما حدث بعد ذلك للفولسيين . اذ يقول المؤرخ بلوتارك : « ان الرومان تغلبوا عليهم في المعركة ، فقتلوا أوفديوس ،

وذبحوا زهرة قوات الفولسيين ، فاضطروا الى القبول بشروط للسلم مشينة . وسلموا أنفسهم كرعايا للفاتحين ، وتمهدوا

بطاعة أوامرهم . »

الفهرست

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥
كريولانس أو تناقضات شكسبيرية بقلم: يان كوت	٩
مأساة كريولانس	٣٩
أشخاص المسرحية	٤١
الفصل الأول	
المشهد الأول: روما. شارع	٤٣
المشهد الثاني: في كريولي. مجلس الشيوخ	٥٥
المشهد الثالث: روما. غرفة في منزل مارسيسوس	٥٨
المشهد الرابع: أمام مدينة كريولي	٦٢
المشهد الخامس: شارع في كريولي	٦٦
المشهد السادس: قرب معسكر كومنيوس	٦٨
المشهد السابع: عند أبواب مدينة كريولي	٧٣
المشهد الثامن	٧٤
المشهد التاسع: المعسكر الروماني	٧٦
المشهد العاشر	٨١
الفصل الثاني	
المشهد الأول: روما. . مكان عام	٨٣
المشهد الثاني: روما. . . والكابتول	٩٤
المشهد الثالث: روما. الفورم	١٠١
الفصل الثالث:	
المشهد الأول: شارع في روما	١١٣

- ١٣٠ المشهد الثاني: غرفة في منزل كريولانس
 ١٣٧ المشهد الثالث: المنتدى في روما

الفصل الرابع:

- ١٤٥ المشهد الأول: روما، قرب أحد أبواب المدينة
 ١٤٨ المشهد الثاني: روما، شارع قرب باب المدينة
 ١٥٢ المشهد الثالث: طريق عام بين روما وانيوم
 ١٥٤ المشهد الرابع
 ١٥٦ المشهد الخامس: قاعة في منزل أوفديوس
 ١٦٦ المشهد السادس: مكان عام في روما
 ١٧٥ المشهد السابع: معسكر على مسافة قصيرة من روما

الفصل الخامس:

- ١٧٩ المشهد الأول: ساحة عامة في روما
 ١٨٣ المشهد الثاني: مدخل معسكر الفولسين
 ١٨٧ المشهد الثالث: خيمة كريولانس
 ١٩٦ المشهد الرابع: ساحة عامة في روما
 ١٩٩ المشهد الخامس: شارع قرب باب المدينة في روما
 ٢٠٠ المشهد السادس: ساحة عامة في مدينة انتيوم

٤٥٠
١



مأساة كريولانس

كان شكسبير في مسرحياته الرومانية يرى توازياً رمزياً بين أحداث الماضي والأحداث المعاصرة له ، بين مدينة كروما في القرن الخامس ق. م . ، حيث تقع أحداث « مأساة كريولانس » هذه ، ومدينة كلندن في القرن السابع عشر ب . م . ، ويكاد يفسّر الواحدة بالأخرى . ولم يكن هذا التوازي في مفهوم شكسبير ليقف عند ذلك الحدّ أو أي حدّ آخر من الزمن : إنه يبلغ ذلك المطلق الانساني الذي يتعدّى صيغ الزمان والمكان ، فتصبح المأساة وصراعاتها ، رغم خصوصيتها الظاهرية ، امثولة لكل زمان تنشأ فيه صراعات مثلها ، وتصبح روما اية مدينة أخرى في العالم .

هنا يكمن السرّ في روعة « كريولانس » ، وتصاعد الاهتمام بها في السنوات الأخيرة . إنها مسرحية أخرى « معاصرة » في معانيها ورموزها ومرة أخرى يقدّم لنا هنا جبراً ابراهيم جبرا ترجمة تضجّ بالزخم . الشكسبيري ، وتشمخ بدقتها ولغتها الغنية البارعة .

المؤسسة العربية
للدراسات والنشر

بناية برج الكائنون - ساحة الجزيرة - ت ١ / ٧٩٠٠٠٠
ببرقيا - موكباي بيروت - ص ١٠٠ / ٥٤٦٠٠٠ بيروت

الـثـمن ١٦ ل.ل.